مأثورات شعبية

تأليف
محمد العبودي

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العبودي، محمد ناصر
مأثورات شعبية / محمد ناصر العبودي- ط٢.
الرياض ،١٤٣١ هـ
٣٢٠ص ، ١٧ × ٢٤سم
ردمك: ٥- ٣- ٩٠١٢٥- ٦٠٣- ٩٧٨
١- المأثورات الشعبية- السعودية أ. العنوان
ديوي ٠٩٥٣١ ، ٣٩٨ ١٤٣١/١٠١٧

رقم الإيداع: ١٤٣١/١٠١٧
ردمك: ٥- ٣- ٩٠١٢٥- ٦٠٣- ٩٧٨
١٤٣١ هـ/٢٠١٠م

الناشر



دار الثلوثية للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية – الرياض
تليفون : ٤٥٠٧٨٣٢
فاكس : ٤٦٤٥٩٩٩
email :tholothia@gmail.com

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين ..... وبعد

فيسر دار الثلوثية أن تقدم هذه الطبعة الثانية من كتاب" **مأثورات شعبية** " الذي يعتبر من أهم كتب ومؤلفات صاحب المعالي الشيخ محمد العبودي انتشاراً وطلباً حيث قدم طبعته الأولى سنة ١٤٠٢-١٩٨٢م، وقد قامت بطباعته جمعية الثقافة والفنون.

ولا شك أن هذا الكتاب يعد مخزناً رئيساً للمأثورات والأمثال والحكم والقصص والحكايات الشعبية بل إن هذا الكتاب من أقرب الكتب إلى نفس المؤلف فهو كما يقول عنه: " **أثر من أثار الشباب مضت عليه سنون وهو مخزون مع طائفة من أوراق لي** ".

وقد اختط في طريقته للكتاب أن يرتبها حسب الموضوعات التي تخصص بها، كالقصص وحكايات الثعلب والغراب وحكايات الوحوش واللغويات والأدب العامي والأمثال، وها نحن اليوم نقدم الكتاب بحلته وطبعته الجديدة نظير ما لقيه من قبول واحتفاء واهتمام ودراسة من قبل الباحثين والمهتمين بالتراث الشعبي.

وهو بحقٍّ يُعد أحد الكتب التي كتبت في المأثورات في الجزيرة العربية عموماً إضافة إلى إسلوبه القصصي الجميل وحكاياته الفريدة.

راجين أن يتم لشيخنا حفظه الله ومتعه بالصحة والعافية إصدار كتبه ومعاجمه اللغوية والتراثية إضافية إلى المنجزات العلمية المتميزة التي أصدرها.

وكتبه

محمد بن عبدالله المشوح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على رسوله الأمين. أما بعد : فإن هذا الكتاب، أثر من آثار الشباب، مضت عليه سنون، وهو مخزون مع طائفة من أوراق لي قديمة.

وعندما كرمت جمعية الثقافة والفنون في الرئاسة العامة لرعاية الشباب فكتبت إليَّ راغبة في تقديم كتاب يتضمن تسجيل بعض الآداب الشعبية الأصيلة، لتطبعه بنفقتها، وتجعله بين منشوراتها قلت في نفسي: إن إدارة الثقافة في رعاية الشباب، هي أولى من يقدم إليهم هذه الكتاب.

و الشكر لله تعالى ثم لصاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب على دعمه المستمر للأدباء وتشجيعه نشر الثقافة الشعبية الأصيلة.

ومن بعد ذلك للأستاذ الكريم محمد بن أحمد الشدي رئيس مجلس الإدارة في الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون على إسراعه في أن تتبنى الجمعية هذا الكتاب، وأن تسرع إلى طبعه بنفقتها.

الرياض ٢٠/ ٤/ ١٤٠١هـ - ٢٤/ ٢/ ١٩٨١م

المؤلف

محمد العُبُودي

حكم وأمثال

حكم عامِية مسجوعة

القُوت ، على حَيّ ما يموت

الموت ، ما منه فوت

ما يعلم المغيّبات، إلا ربِّ السموات

لا تنظر الآفاق، وانظر إلى الرب الخلاق

الموت ما خلّى كبير يهابه، ولا صغير يهتني بشبابه

الجنون ، فنون.

الحرفه ، منحرفه.

الحركة ، بركة

الدراهم ، مراهم.

دِقّ الشّطُبْ ، دامه رطب

الراحه ، رباحه

الرزق وهيبه ، ما هو بنهيبه

السلام ، قبل الكلام

شور من لا استشار ، مثل سراج بالنهار

طَهِرْ ولدك بالفاس ، ولا تحتاج للناس

الظالم ، نادم

العافية ، جبُّة دافيه

عفُور، والربّ غفور

اللي ما له دار، كل يوم له جار

قليل هَنّاك ، ولا كثير عنّاك

مدْبَرٍّ بالدار ، اخير من حَدّار

من دليله كتابه ، خطأه أكثرُ من صوابه

المهتوي ، يقطع المستوي

الوصايا ، نسايا

ولد الشيبه ، للخيبه.

هلا بالشيب ، قبل العيب

خل النصايح ، تخليك الفضايح.

يموت الحبيب، ما جاء الطبيب.

إلى بغيت الأمير ، فصادق الوزير

إلى بغيت تضمها ، فانشد عن أمها

إلى بغيت الفراق، فاطلب ما لا يطاق

إلى سلم العود، فالحال تعود

إلى صار خصيمك القاضي، من تقاضي ؟

اللي فا ت ، مات

اللي يتغلى، يُخَلّ

انفق ما بالجيب ، يأتي ما بالغيب

الجود ، من الماجود

الحذر ، ما يرد القدر

خذ من بعره ، وفت على ظهره

الدار دار أبونا ، والقوم طردونا

راحت السكره، وجت الفكره

الرجال مخابر ، ماهم بمناظر

السّماح ، رباح

السّلف، تَلَف

شينٍ مجمّل ، ولا زينٍ مْهَمّل

شيءٍ يعود ، ما يكود

الطمع، طبع

الطول طول النخلة، والعقل عقل الصَخْله

ظلْمٍ بالسوية ، عَدْلٍ بالرعيه

العازه ، لزازه

عند الأحباب، تسقط الآداب

الغربه ، كربه

القدر ، في الصدر

قرض العود، ولا القعود

قريب المبال، عَفْن من الرجال

الكلام الليِّن، يغلب الحق البيِّن

كل زور، به شور

كل لخدنه يطرب، حتى الشبث والعقرب

كل مشروكٍ ، مبروكٍ

كل وناةٍ فيها خيْرَة ، إلا وناة العرس والثمره

ما ينفع ، ولا يشفع

لا هم إلا هم الدَّين، ولا وجع إلا وجع العين

لا هم إلا هم العرس، ولا وجع إلا وجع الضرْس

اللسان، عدو الإنسان

مازمّ، هضم

ما على الشّقا، بقا

ما عقب العود، قعود

ما يرد الكريم، إلا لئيم

ما يصبر على جهلي، إلا أهلي

مقابل الحيش، ولا مقابل العيش

من أكل تمرهم، يقوم بأمرهم

من تقدم، ما تَنَدّم

من خلَّ عشاه، أصبح يلقاه

من ذكرك، ما حقرك

من رافق المصلين صلّى، ومن رافق المولّين وَلّىّ

من رَدّ، ما شرد

من صبر، قدر

من طاف، ما عاف

من طال لسانه، خف ميزانه

من عنى إلينا، وجب حقه علينا

من كثر هذره، قل قدره

من له عيون وراس، سوى ما سوّوا الناس

من هاز، راز

مهنةٍ بلا استاد، آخرها للفساد

نصيبك، يصيبك

النوم، رأس اللوم

الوحاده، عباده

الورث، فَرْث

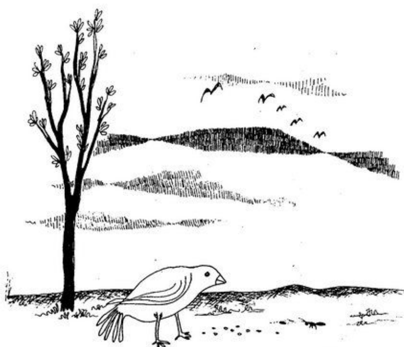
الهمال، ما معه مال

يا غريب، كن أديب

يبني قصر، ويهدم مصر

قصص وحكايات

حكايات الطيور



أم سالم والنملة:

استحكم فصل الشتاء، ولم يكن هناك من حَبٍ تجده « أم سالم » ذلك العصفور البري المغرِّد الذي لا يكف عن التغريد في الرياض و الغياض، وإذا لم يجد رياضاً ولا غياضاً فإنه يُغرد فوق الأراضي المرتفعة وحتى في القيعان المنقادة.

و كانت النملة قد أحست بأنّ رطوبة الشتاء قد تفسد بعض الحبوب التي قد اختزنتها في فصل الربيع، وفي أوائل فصل الصيف حيث موسم الحصاد.

لذلك أخرجت الحب إلى وجه الأرض ونشرته حتى يجف ثم تعيد إدخاله إلى بيتها وخزنه.

وكانت (أم سالم) قد أكثرتْ من التغريد في ذلك اليوم إلاّ أن الفنّان وإن كان فناناً أصيلاً بطبعه فإن ذلك لا يغنيه عن التماس ما يكفي حاجات بطنه.

بل إن الفنان لا يُحسن أداء الفن الرفيع إلاّ إذا كان مكتفياً من الطعام، ولكن الطعام في الصحراء في فصل الشتاء عزيزٌ نادرٌ بل هو يكون أحياناً غير موجود لذلك أعيت الحيلة « أم سالم » في أن يجد ما يلبي نداء بطنه حتى يستطيع أن يجد ما يلبي نداء قلبه في التغريد والتطريب.

وبينما كان يبحث مُتحيراً مفكراً في حل هذه المشكلة بل المعضلة إذا به يفاجأ بالخير منثوراً على الأرض، إذا به الحب منثور على باب بيت النمل.

وكاد أن يسرع بالشروع والالتهام، لولا أنه تذكر أن الأكل من الطعام الحرام، يُكْسب الآثام، وأن هذا الحب إنما هو من كسب النمل الذي أخذ منها الليالي والأيام فلم يكن منه إلا أن أطلق تغريدة، أشبه شيء بالتنهيده، ظناً منه أن الصوت الجميل، يستخرج به الخير حتى من البخيل، وهو يعلم أن النملة من البخل بمكان غير أنه قال في نفسه: إذا كانت النملة تملك الحبّ النقي، فأنني أملك الصوت الشجي، وشتان بين الشيء الذي لا يُدرك إلا بالهبة الربانية وبين الذي يوجد في البرّية.

ثم أخذ يطلق الألحان تلو الألحان، عند باب النمل الشبعان، إلاّ أن ذلك بدا له وكأنه لم يلفتْ أنظارها، ولم يسترع أسماعها ولا أبصارها.

مع أن الحقيقة أنها سمعت تغاريده، وطربت إلى أن يُردد أمام بيتها أناشيده، إلاّ أنها تَعْلم انه لم يكن الدافع له إلى ذلك حُباً يُكنّه لبني جنسها، ولا هو بالشوق إلى أنسها وإنما ذلك لحاجة في (بطن) يعقوب الذي يعلم أن ما عندها هو أبعد مما عند عرقوب، ولكن الحاجة ألجأته إليها، والجوع جعله يجلب كرامته الفنية عليها.

وعندما أطال في صفيره، وعرفت النملة أنها قد بلغت ما بلغت من تصغيره وتحقيره.

برزت إليه من جحرها، وقد رفعت رأسها إلى السماء من كِبْرها فقالت له: أهلاً بمطرب الوجود، وفنّان العُهُود يا من لا تستطيع الحيوانات والطيور أن توفيه حقه من الإكرام و الاحترام، حتى ولو خدمته الليالي والأيام.

ولقد قالت ذلك خبثاً ومكراً. ولكنه شأن الفَنّان المطبوع المخدوع ظن أنها تقوله صدقاً وقَدْراً.

فأيقن أن لا بد أن يجد عندها من القِرى ما يكفيه أياماً بل أشهرا.

فقال لها مزهواً فرحاً: شكراً يا أخت النمل على هذا المديح الذي اخجل تواضعي، ونفذ إلى أضالعي، فما رأيت أحداً يقدر الفن وأهل الفن بهذه العبارات الرنانة مثلك يا ذات الردف الثقيل والخصر النحيل !

ثم وقف صامتاً ينظر إلى الحبّ مرة، وإلى فمها مرة أخرى يتوقع أن تدعوه إلى ما يشبع بطنه، بعد أن أشبعته مما يرضى فنه، ولكنها لم تفعل، وإنما أخذت تبتعد به عن مكان الحب وهي تلاطفه في الكلام وتحدثه عن الفنانين العظام وكأنّها لا تُعير أي اهتمام، لما يعانيه من حاجة إلى الطعام.

ولما نفد صبره، قرر أن يفصح عما يريد ولو افتضح أمره.

فقال: يا أخت النمال، وحليفة الجمال إنك تعرفين أن البَرَّ قد أصبح الآن صفراً من الحبوب وأننا قد أصبحنا نحن الفنانين عاجزين عن الحصول على ما يسد الرمق من الطعام.

ونحن قوم صنعتُنا أن ننشر الحبور وندخل السرور في كل قلبٍ مكسور. ولطالما شنفنا آذان أخواتنا النملات بما أطلقناه من أغنيات.

وإن أقل ما نطلبه من مكافأة على عملنا أن نحصل على قليل من الحَبّ الذي يحفظ لنا قدرتنا على ابتداع الألحان، وترديد ما يعجب ويطرب من أغان.وقد الجأني الزمان إليك، فقلت في نفسي؛ إن الصلة الفنية التي بيننا

نحن الفنانين الطيور وبين أخواتنا النملات لها شأن كبير، بل هي تبرر لنا أن نقف منها موقف المُدل، الذي لا يخشى أن يرد فيذل.

وقد استمر في كلام مثل هذا الكلام حريّ بأن يلين الصخر ويسهل الوعر.

غير أن للنملة تفكيراً غير تفكيره، كما أن لها تدبيراً غير تدبيره، وذلك ناشئ من اختلافها في طبيعة النظر إلى الأشياء في جميع أمور هذه الحياة الدنيا.

فهو فنان أصيل، ذو طبع نبيل يفضل حفنة حاضرة من السرور، على كنوز في عالم غير منظور أما هي فإنها مادية الطبع، جشعة الأصل والفرع، تكنز أكثر مما تحتاج ولو كان في ذلك أعظم المشقة والإحراج.

لذلك أجابته ببرود، بأن له كأنه غير مقصود فقالت: ولكن عهدي بك أيها الفنان الكبير، وأنت تخطر بين بيادر القمح والشعير فظننت أنك قد اتخذت من يومك لغدك وحسبت حساباً لحال مثل هذه الحال، التي أصبحت فيها مضطراً إلى الاستجداء والسؤال.

و لكنه قاطعها لأنه فهم أنها تُعيّره بأفنانه، وتحقر ما كان يردد من ألحانه وقد انتفش ريشه غضباً. وصرخ فيها مقاطعاً غضباً، إلا أنها وهي في موقف مادي أقوى من موقفه قابلت غضبه بغضب مثله، وقالت محتدة مؤنبة له على فعله: (يوم الحصايد الهتك القصايد) .

فاستشاط غضبه، وكاد أن يفقد زمام عقله وقال مؤنباً محقراً لهذه النملة المادية، قولة ذهبت من بعده مثلاً:(والله يا يوم من كيفاتي وطربي، إنه يسواك واللي عندك يا معكوفة الذنب)!!!



مسلق سليمان :

المسلق نوع من العصافير البرية المهاجرة يتميز عن غيره من العصافير في أن رجليه دقيقتان ضعيفتان فهما أدق من رجلي عصافير الدور المعروفة.

ومع ذلك تقول الطرفة الشعبية إن نبي الله سليمان بن داود عليه السلام خرج مرة في الليل يتجول بين جنوده من الإنس والجن والطير وكان يعرف منطق الطير.

فسمع المسلق يتحدث مع زوجته في أمر هام فأنصت سليمان لحديثهما دون أن يشعرا به.

كان المسلق مستلقياً على ظهره رافعاً رجليه الدقيقتين إلى السماء. فقالت له زوجته: لماذا أنت رافع رجليك إلى السماء، هكذا في وضع مقلوب بالنسبة إلى وضع الطيور عند النوم؟

فأجاب: اسكتي ونامي ولا تسألي عن الأسرار التي هي فوق مستواك.

فقالت: يا هذا أي سر عندك تخفيه عن زوجتك؟

وبعد جدال ومراجعة استعملت فيه (المسلقة) وسائل الإغراء الأنثوية التي تستطيع استعمالها. قال لها: إنني رأيت في المنام أن السماء ستقع على الأرض ولما كان نبي الله سليمان وجنوده قريبين منا وأخشى أن تقع السماء عليهم فتهلكهم فأنني قد رفعت رجلي إلى السماء حتى امنع بهما سقوط السماء

عليهم! فرجع سليمان إلى مكانه المعتاد وهو يحمد الله تعالى على كل حال ويشكر لهذا الطائر الضعيف إخلاصه الرمزي.



ما حضر العهد:

جاء الثعلب يمشي بهدوء يخاف أن يثير شكوك الديك قبل أن يصل إليه فيلتهمه ولكن الديك شعر به فطار بسرعة إلى أعلا جدار موجود بقربه.

فلما رأى الثعلب ذلك أظهر عدم الاكتراث بل أظهر المسكنة و التخشع، وقال مسائلاً الديك ببلاهة:

لماذا يا أخي طرت من هذه الأرض التي رأيتك فيها تلقط بعض الحبوب إلى رأس هذا الجدار الذي لا طعام فوقه و لا ماء بل فيه مشقة عليك؟

فأجاب الديك بحسن نية لأنه ليس عنده ما يخفيه: إن ذلك بسبب خوفي منك أيها الثعلب الماكر فضبط الثعلب أعصابه وقال ببرود:

ولماذا تخاف مني؟ هل سبق لي أن آذيتك؟

فأجاب الديك: كلا، أنت لم تؤذني شخصياً ولكن أباك قد آذى أبي بل أكله، وشيوخ الديكة الذين نتعلم منهم الحكمة قد اخبرونا أنكم معشر الثعالب لا أمان لكم ولا ذمة بل إنه لا يؤمن جانبكم حتى في الوقت الذي لا تكونون فيه بحاجة إلى طعام أو شراب.

ولذلك كان من الأمثال الديكية السائرة على وجه الدهر قولنا: (أفضل الساعات ساعة لا نرى فيها الثعلب ولا الثعلب يرانا).

فقال الثعلب وهو لا يزال يضبط أعصابه وبخاصة عندما تأمل غلظ فخذي الديك من أسفل وهو يحدثه، يرفع جسمه ويخفضه كالمعجب بنفسه الواثق من كونه يتكلم من مركز قوة مبعثها هذا الجدار المنيع الذي لا يستطيع الثعلب أن يتسوره.

يا أيُّها الديك: إنك تحدثني كأنك لم يبلغك ما حصل في هذه الأيام من الصلح بين الأعداء التقليدين من الوحوش والحيوانات والطيور.

فاعترض الديك بلهفة وهو يقول: وماذا حدث أيُّها الثعلب؟

أجاب الثعلب: لقد تعاهد الجميع على ألّا يعتدي أحد على أحد، بل على ألّا يؤذي أحد أحدًا، وإنما يجب أن يعيش الجميع بسلام فالأسد مع حمار الوحش، والذئب مع الشاة، والثعلب مع الدجاج، والكلاب السلوقية أعداؤنا التقليديون قد اصطلحوا معنا على ذلك، وقد أبرمنا معهم هذا العهد الوثيق بحضور جمهور غفير من الحيوانات والطيور بل إن الأمر قد وصل بهم تمشياً مع أحكام هذه المعاهدة إلى حد أنهم يفكرون في إيجاد وشائج قربى أقوى وامتن بيننا وبينهم مثل أن يعاهدونا فيتزوجون منا ونتزوج منهم.

فاعترض الديك بسرعة وباستنكار، وقد فغرفاه، وتحركت أطراف لحيته وهو يهتز من التأثر حتى ضرب بعضها بعضاً قائلاً:

كيف؟ بعد العدواة الشديدة معاهدة وزواج؟

فأجاب الثعلب: ولم لا يكون ذلك يا صديقي؟

إن هذا العمل إنما هو لمصلحة الأجيال الصاعدة منا معشر الوحوش والحيوانات. حتى الطيور الجارحة قد عقدت عهداً والتزمت به أمام الملأ فاقسم الصقر ألا يؤذي الحمامة وكتب بمخلبه الذي طالما أدمى أجنحة الحمامات الوادعة وثيقة بذلك كان لي الشرف العظيم أن أكون أحد الذين حضروها ووضعوا توقيعاتهم عليها.

إذاً هيا يا صديقي فلتنزل ونتصالح وننعم بثمار هذا الحدث العظيم حدث إنهاء عداوة استمرت أجيالاً طويلة.

كان الثعلب بطبيعة الحال يكذب في كل ما قاله يريد أن يخدع الديك حتى يجعله ينزل فيأكله.

وكاد الديك أن ينخدع فينزل غير أنه طرأت على ذهنه الحكمة الديكية القديمة التي تقول (أفضل الساعات ساعة لا ترى فيها الثعلب ولا الثعلب فيها يراك) . فامتنع.

وبينما كان الثعلب يظهر من بدائع فنه، ولطائف حيلته ما كاد معه الديك أن ينزل إذا بالديك يرى قوماً من الأعراب قادمين من بعيد ومعهم عدد من الكلاب السلوقية السريعة التي هي أعدى أعداء الثعالب ففكر في نفسه قائلاً: إن النزول بحضرة هذه الكلاب ومشاركتها الاحتفال بهذه المناسبة هو أولى من أن أبقى وحدي مع الثعلب. فأسرع يطأطئ رأسه إلى جهة الثعلب في أسفل الجدار ويقول له: يا صديقي إنني أزف إليك بشرى عظيمة:

فقاطعه الثعلب بلهفة وبخاصة أنه بذكائه المفرط قد فهم من لهجة الديك أنه اقتنع أو قريباً من أن يصبح مقتنعاً بما كان قد قاله. فقال:

ما هي البشرى يا صديقي الديك يا من يبشر بالخير؟

الست أنت الذي تؤذن بالأسحار تبشر المصلين المؤمنين بقرب حلول وقت العبادة؟.

فهز هذا المدح نفس الديك فرفع جسمه ووقف على رجل واحدة ثم صفق بجناحيه وصاح بأذانه المشهور ليري الثعلب صدق ما قاله عنه.

فاهتز الثعلب لذلك مكراً وحيلة، وقال ما أجمله من صوت رخيم: أعِدْ، أعِدْ ، يا صديقي (القديم) .

فقال الديك: لن يكون ذلك قبل أن أخبرك ما هي البشرى: لقد رأيت جماعة من الأعراب على البعد معهم عدد من الكلاب السلوقية، ففرحت حتى تشاركنا الاحتفال والابتهاج بهذه المناسبة التاريخية الجليلة.

فاهتز الثعلب من هذا الخبر ولكنه ظن أن الديك يكذب عليه كما اعتاد هو أن يكذب على الآخرين. لذلك نظر إلى الجهة التي أشار إليها الديك فلم ير شيئاً لأن الديك يرى من فوق الجدار إلى أبعد مما يرى هو على سطح الأرض.

وبعد لحظة نظر الثعلب ثانية فرأى على البعد غبار دواب الأعراب ورأى كلابهم السلوقية المدربة على مطاردة الأرانب وغيرها. فارتاع لذلك ونسى

ما كان قد قاله للديك بشأن معاهدة الصلح المزعومة وأخذ ينصرف هارباً موليا !.

فناداه الديك قائلاً:

لماذا هربت؟ فقال الثعلب: ألا ترى الكلاب السلوقية إنني أخاف على نفسي منها.

فقال الديك: ألم تقل إن العهد قد أخذ من الجميع؟

فأجاب الثعلب وهو يمد صوته لأنه كان قد أبعد عن المكان:

(أخاف من أحد ما حضر العهد) !!!

انتقض وضوئي :

كان ناس من الزراع في نجد قد حصدوا القمح وباعوا مواشيهم وكان محل زرعهم في مكان ناء لا يكون فيه من الزرع إلا القمح، ولم يبق لهم بعد الحصاد من الحيوانات إلا الديك وكلب الحراسة فتركوهما على أمل أن يعودوا إليهما فيأخذوهما مع ما بقي من المتاع الثقيل.

وكان الديك ينام فوق خشبة معترضة على البئر حتى لا يستطيع سبع ولا إنسان أن يصل إليه في الليل أما في النهار فإنه ينزل إلى مكان القمح يلقط منه مما تبقى من الحب في الأرض.

وكان الوقت حاراً إذ كان ذلك منتصف النهار في وقت الصيف فجاء ثعلب يريد أن يحتال على الديك فيأكله ولم يكن يعلم أن هناك كلباً قريباً منه ولكن الديك شعر بالثعلب فطار ووقع فوق الخشبة التي على أعلى البئر.

فقرر الثعلب أن يستعمل دهاءه وحيلته حتى يستطيع القبض عليه وأكله. فقال للديك بكل برود: لماذا صعدت إلى هذه الخشبة؟

فأجاب الديك: لكي أأذن لصلاة الظهر لأن الوقت قريب! .

فأظهر الثعلب التنسك والخشوع.

وقال: جزاك الله خيراً. إنك ديك صالح، وأنني ما جئت هنا إلا لكي أجد جماعة أصلي معهم و هاقد وجدتك فأذن وأنا أنتظرك إذا فرغت تنزل فأصلي معك.

فأذنَّ الديك بصوت جميل خالٍ من الفزع لأنه يعلم الحقيقة أكثر من الثعلب فكان يمدّ صوته مدّاً ويحسنه تحسيناً .

فلما فرغ لم ينزل كما كان الثعلب ينتظر وإنما قال له: اذهب أيُّها الثعلب وتوضأ للصلاة حتى أنزل إليك.

فقال الثعلب: إنني على وضوء ولا أحتاج أن أتوضأ مرة ثانية.

فقال الديك: إذاً اذهب إلى المسجد إنه في الظل خلف هذا الجدار وسوف الحق بك.

فذهب الثعلب إلى حيث أشار الديك ولكنه فوجئ بكلب الحراسة نائماً في الظل فنكص على عقبيه مسرعاً فسأله الديك: لماذا رجعت؟

فأجاب الثعلب وقد نسي من شدة الفزع ما كان قد قاله للديك: أريد أن أتوضأ.

فسأله الديك، ألم تقل لي : إنك كنت على وضوء؟

فأجاب الثعلب وهو يلتفت ناحية الجدار الذي خلفه الكلب النائم: لقد انتقض وضوئي.

ثم ولّى هارباً حتى غاب عن نظر الديك في سراب الصحراء.

حكايات الثعلب والغراب



الغراب يغلب الثعلب:

قال الثعلب للغراب وهو يريد أن يقدم له دليله على تفوقه عليه في الحيلة:

يا صديقي الغراب إني أريد أن أدعوك على الغداء مع بعض الأصحاب.

فسأله الغراب: وهو يتصنع الاستغراب وماذا عندك مما ستقدم؟

فقال: عندي شيء يعجب ويُطرب.

فقال الغراب: إذا كنت ستعزمني على ما تأتي به من جيفة أو من بقايا فريسة أسد أو ذئب فلا حاجة بي إلى ذلك لأنني أستطيع أن أحصل على ذلك بنفسي، إضافة إلى أنه ليس جديداً على ولا طريفاً عندي بل أكون كما قال المثل: (عندنا عيش، وعندكم عيش، تعزمونا على إيش ..؟).

فقال الثعلب: لا يا صديقي، ليس الأمر كذلك، وإنما سوف أقدم لك وليمة طريفة خفيفة:

فوافق الغراب على ذلك حباً في أن يلقى التكريم وبدافع حب الاستطلاع والرغبة في معرفة ما خبأه له الثعلب من وليمة طريفة تشبع الجياع.

وعندما حل الموعد المذكور وكان الغراب قد احضر معه بعض أصدقائه و أقربائه الغربان ليشهدوا إكرامه وليحظوا بالاشتراك في وليمة الثعلب التي تقام على شرفه.

وكان (صالون) الجلوس في سفح جبل طيب الهواء، وقد تلقى الثعلب ضيوفه بالإعزاز و الإكرام الظاهر.

وكان يغدق عليهم عبارات الترحاب الرنانة، بل إنه كان بما عرف عنه من الرياء يمدحهم بأشياء كثيرة حتى أنه مدحهم بالجمال مع أنه يعلم أنهم أبعد الطيور عنه.

وبعد طول انتظار من (المعازيم) الغربان كان الثعلب خلاله لا يفتأ يحدثهم عن كرم الضيافة الثعلبية وأن من أهم مزايا الثعالب أنهم قوم يحبون ضيوفهم، ولا يبخلون عليهم بالمديح والثناء بل ربما يكون قد أنشدهم شعراً من الشعر الثعلبي في المديح وقال: إنه في المديح (الغرابي) .

كل هذا والغربان تنصت وتجيب على كل مقطع من حديثه بإشارة استحسان أو إيماءة موافقة لا تريد على كلمة (غاق، غاق) وذلك لأنها تعلم من الأخلاق الثعلبية مالا تعلمه سائر البرية. فهي قد طربت في الحقيقة إلا أن ذلك الطرب ليس لكلام الثعلب وإنما لانتظار الوليمة التي لا بد أن تكون شهية مناسبة للمقام وهي تظن بل تعلم أن الثعلب لن يفعل ذلك كرماً وإنما سيفعله إذا فعله لخوفه من الرد الغرابي الذي سيكون من جنس رد أحد الغربان على الثعلب الذي أراد أن يعلمه الروغان فخان عهده واضمر أن يجعله في خبر كان لولا أن الغراب بن الغراب ناقشه الحساب وكال له الصاع صاعين و جازاء العين بالعين.

وبعد انتظار كان صبر الغربان خلاله قد طار التفت الثعلب إليها وقال: هلموا يا أصدقائي البيض، إمعاناً في اختفاء لونهم البغيض. إلى الموائد و لا يتأخرن منكم صغير السن لصغر سنه لأن المكان وسيع، والمائدة فيها الشبع للجميع.

ولما لمح الغربان المائدة على البعد رقصت أرجلهم طرباً، وكادوا يطيرون إليها طيراناً لولا خجلهم من مضيفهم أن يسبقوه لأنه لايُحسن الطيران وإنما يحسن الروغان الذي لا يقصد مباشرة المكان.

ولكنهم عندما وصلوا إلى مكانها هالهم ما رأوا في خُوانها إذا كان الخوان صخرة ملساء واسعة ذات صفحة لا معة ليس فيها نقر ولا حفر، وكانت المائدة عصيدة رقيقة تشبه الماء الذي قد ذر فيه الدقيق، فهو كالماء الصافي الرقيق.

فوقفوا في انتظار الإذن بالابتداء ولما سمعوا النداء يقول حيّ على الغداء. أقبل الغربان دفعة واحدة يضربون بمناقرهم على تلك الصفاة الملساء والصخرة الصماء فلا يعلق في المناقير من المائدة إلا الصدى إذ لا يستطيعون أن ينالوا من العصيدة أو على الأصح من الغداء إلا العناء.

وكان الثعلب في هذه الأثناء يدلي بدلوه مع الدلاء ودلوه هنا هو لسانه الذي يتدلى ثم يرتفع بعد أن يكون قد لحس ما فيه الغناء.

وأخذ الثعلب بواصل (الشفط) ، واللهط والغربان تواصل (الطق) والبط، حتى شبع الثعلب وهو لم يذوقوا من غذائه شيئاً.

وكان من الطبيعي في مقتضيات اللياقة والمحافظة على مظاهر الصداقة أن لا يعيب الضيوف طعام المضيف حتى ولو كان من (الدويف). !.

لذلك أضمر الغراب في نفسه أمراً،وعزم على أن يجزى الثعلب بشرِّه شرَّاً.

فاظهر الشبع والري، وكأنه قد شبع من لحم طري أو روى من الين بقري.

ثم قال للثعلب وهو يتصنع الجشاء: إن الغداء الجيد – يا صديقي الثعلب- يكفي عن العشاء وإنه يجب علينا لقاء ما أطعمتنا وسقيتنا أن نكرمك كما أكرمتنا وأن نحترمك مثل ما احترمتنا.

وكما أجبناك إلى دعوتك تستجيب لدعوتنا مع جماعة من كبار أسرتك

فاهتز الثعلب لهذا الثناء وإن كان يعلم أنهم غير صادقين بل إنه يتقين أنهم من المنافقين. ولكنه ظن أنهم لا يستطيعون خداعه، فضلاً عن أن يدركوا باعه.

فاستجاب للدعوة على الفور، وهو في الحقيقة حريص على سبر الغور ولكنه قال: يا صديقي الغراب ليس من اللائق بين الأصحاب أن يشترط المضيف على مضيفه طعاماً معيناً، ولا أن يتعاقد معه تعاقداً بيناً، إلا أني أذكرك بأن جماعتي الثعلبيين يريدون طعاماً ليس كمثله في طعامهم شيء فلا تخيب ظنهم في، ولا تكن مع الذين يريدون منهم التشنيع عليّ.

فأجاب الغراب بعد اضطراب: سوف أقيم لك وليمة لم تعرفها أواني الثعالب قبل ذلك، بل لم تعرف أنها يمكن أن تقدم إليهم في جميع الممالك.

وكان الموعد يوماً محدوداً وفكر كل واحد منهما بأنه سيكون يوماً مشهوداً.

ولما حان اليوم الموعود أقبل الثعلب ومعه من جماعته عدد معدود أما الغراب فقد حشد من قومه جمهوراً كبيراً، وكأنه يريد أن يريهم كيف يكون على قهر الثعلب قديراً.

و كان موضع الاستقبال، فوق حصباء من الرمال، في مجرى وادٍ كبير، أنعم من الفراش الوثير.

فلبث الضيوف والمضيفون يتحدثون في كافة الشئون مما يشغل بال الطيور من قديم العصور أو فيما يهتم به الثعالب وإن كان ذلك لم يمنعهم من التفكير فيمن يكون الغالب.

ثم اقبل مدير الضيافة (الغرابية) فقال للجميع: هلموا إلى الغداء، وليكن هذا النداء، دعوة لكل صغير وكبير باسمه الخاص إلى الأكل والاقتناص.

فنهضوا جميعاً، وساروا إلى حيث أفضى بهم الطريق إلى أعلا الوادي، وإذا بشجرات من العوسج الأخضر قد نمت أوراقها، وعظم ساقها، وطال شوكها حتى صار كالمسامير بحيث لا يستطيع الاقتراب منه حتى البعير.

وقد وضع الغراب بين تلك الأشواك قطعاً صغيرة من التمر اللذيذ، الذي هو أشهى إلى النفس من اللحم الحنيذ.

وأسرع الجميع إلى الطعام فأخذت الغربان تدخل مناقيرها وتبدأ الالتهام، أما الثعالب فأنها كلما أرادت أن تنال من التمر وجدت لسع الشوك دونه أحر من الجمر فمنها من أخرج لسانه، ومنها من أظهر أسنانه حتى ينال فائدة من هذه المائدة إلا أن الجميع رجع بدون عائدة. وليس ذلك فحسب وإنما

رجعوا بأفواه تقطر منها الدماء، لأن التمر بالشوك قد احتمى ولم يجدوا إلّا أن يرفعوا أبصارهم إلى السماء، يدعون على الغربان بعدم النماء، إلّا أن دعائهم لن يستجاب لأنهم أول من فتح الباب، لهذا الاحتراب.

وهكذا شبع الغربان، ورجع كل واحد من الثعالب خائباً جوعان.

علمني الطيران وأعلمك الروغان:

إن الثعلب والغراب كليهما مشهوران بالذكاء وسعة الحيلة كل واحد منهما ند للآخر وكفء له في هذا المجال.

ولذلك اتفقا على أن يعقدا فيما بينهما صداقة ليستغلا صداقتهما لمصلحتهم ضد بقية الحيوانات والطيور التي ليس لها مثل ما لهما من العقل وقد مكرا بالكثير من تلك الحيوانات والطيور غير أن المكر السيئ يحيق بأهله، إذ أخذ كل واحد منهما يستعمل مكره ودهائه في الكيد بصاحبه.

وذات مرة قال الثعلب للغراب: أنت مشهور بالطيران، وأنا معروف بالروغان فعلمني الطيران وأعلمك الروغان حتى يكون لكل واحد منا هاتان الخصلتان، فوافق الغراب على ذلك.

وكان الثعلب يقول في نفسه : إذا أراد الثعلب أن يلعب بي أو ينقلب عليّ فسوف أريه كيف أعمل به ...

وهكذا ركب الغراب على ظهر الثعلب، وجعل الثعلب يتلوى فيمر بالغراب بين الأشجار الشائكة المتشابكة التي تنتزع ريشه وهو يتمايل يميناً وشمالاً يريه كيف يكون الروغان إلا أن الغراب كان عرف أنه يريد أن يمكر به إذ ما كاد الثعلب يمر بجحر في جبل مدخله منخفض جداً حتى أسرع في اتجاه غير اتجاه الجحر، وفي اللحظة الأخيرة راغ عن طريقه بسرعة ودخل في ذلك الجحر ليجعل الغراب يصطدم بأعلى الحجر الحجري فيموت فيأكله إلا أن الغراب كان قد وضع ذلك في تفكيره وأسرع بالطيران بعيداً في اللحظة المناسبة ولكنه لم يوبخ الثعلب على غدر وإنما كتم ذلك في نفسه، واضمر أنه سيحاربه بمثل عمله، أو بأشد من ذلك.

وظن الثعلب أن الغراب قد قبل عذره وصدق ما قاله له من أن ذلك كان منه من باب الخطأ، و أنه قد نسي كما قال أن الغراب كان على ظهره عندما دخل الجحر وبذلك أستمرا في تنفيذ الإتفاقية بعد أن استراحا قال: الغراب للثعلب هيا لأعلمك الطيران وكان الثعلب يظن أن الغراب سيطير قريباً من سطح الأرض. وكذلك فعل الغراب في أول الأمر أنه أخذ بالتدرج يرتفع في الجو قليلاً قليلاً والثعلب فوق ظهره يرتجف من الخوف، ويرجوه ويتوسل إليه بأن يهبط إلى الأرض، وأن يكون طيرانه لا يبعد عن الأرض إلّا بمقدار ذراع أو ذراعين وذلك لأن الارتفاع الشديد يصيبه بالدوّار فقال الغراب: لماذا أنا لم أصب بالدوار؟

فأجاب الثعلب: لأنك يا صديقي الغراب متعود على ذلك.

فعلق الغراب قائلاً: وأنت قد تتعود على ذلك إذا واصلت الطيران.

قال الغراب ذلك وهو يرتفع بأقصى ما يستطيع إلى أعالي الجو حتى سأل الثعلب ماذا ترى من الأرض؟

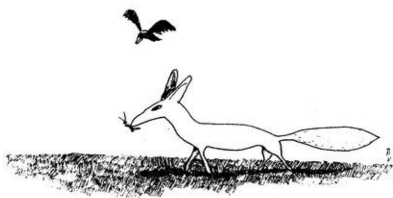
فقال : لا أرى إلّا ما يشبه الدخان!

فقال الغراب: الآن، الآن.

وجعل ينتفض ويتقلب بشدة في الجو حتى سقط الثعلب من فوق ظهره يهوي بسرعة إلى الأرض وتبعه الغراب فسمعه يقول: يا الله حسو وحسي، أي اللَّهُم أجعلني أقع في حسو أي: بئر قريبة الماء واسعة يدعو بهذا الدعاء حتى لا يتكسر أو يموت من شدة الوقعة.

فجعل الغراب يقول: يا الله صفا وصفي أي: اللَّهُم اجعله يقع على صفا أو حجارة حتى يموت فأكل لحمه.

وهكذا وقع الثعلب على الحجارة فمات وعمل الغراب من لحمه وليمة لأبناء عمه من الغربان.



الثعلب والغراب والجرادة:

أصابت الوحوش والطيور البرية مجاعة عارضة فأخذت تخرج فرادى وجماعات في طلب ما تتبلغ به من القوت.

فاصطحب الثعلب والغراب إلى منطقة معينة إلا أنهما افترقا لفترة قصيرة وجد الثعلب فيها جرادة فأمسك بها في فمه، ولم يسارع إلى أكلها رغم شدة حاجته إلى ذلك، وإنما أبقاها في فمه يباهي بها الغراب.

لذلك أبقاها وهو مطبق عليها بفمه وقد ترك جزءاً يسيراً من قوائمها خارجه.

ثم تعمد الذهاب إلى الجهة التي فيها الغراب متظاهراً بأنه إنما فعل ذلك من دون قصد وأنه قد اصطاد الجرادة لتوه، غير أن الغراب يفهم مكر الثعلب وحيلته. وفوق ذلك لديه قدرة الطيران التي مكنته من أن يعرف أن المنطقة التي التقيا فيها لم يكن فيها جرادة تطير وأن الثعلب لابد أن يكون قد اصطاد الجرادة من مكان أبعد من ذلك.

وتساءل عن السبب الذي جعل الثعلب يؤخر أكل الجرادة؟ .

فعرف في نفسه أن غرض الثعلب من ذلك هو التباهي والتفاخر ليس غير فأضمر أنه سوف يحيل ذلك الفخر إلى خيبة أمل.

لذلك استقبل الثعلب و هو متظاهر بالدهشة العظيمة وبالإكبار لمهارته حتى إنه أخذ وهو يستقبله يقول: (قاق، قاق) إعراباً عن الاستعداد للكلام في أمر هام قال للثعلب مباشرة:

الله الله : ما هذه المهارة، وهذه اليقظة الثعلبية النادرة؟

لله أنتم أيُّها الثعالب الذين تجدون شيئاً من لا شيء، فانتفخ الثعلب زهواً وعُجباً، وتاه كبراً من هذا الثناء العاطر.

وفي هذه اللحظة بالذات الذي ملأه الفخر سأله الغراب سؤالاً مباشراً بقوله: ما هذا الصيد الذي في فمك؟

فأجاب الثعلب مباشرة وبدون تفكير بملأ فيه: (جرادة) ! وهنا طارت الجرادة(العزيزة) في الهواء فتبعها الغراب حتى غابت عن نظر الثعلب ثم أمسك بها وأكلها، وبقى الثعلب على جوعه يقتات الفخر الكاذب والإعجاب بالنفس الذي لا يغنى ولا يسمن من جوع.

وعادا من جولتها، وقد غنم الغراب من الثعلب جرادته.

وبعد فترة قصيرة خرجا أيضاً في طلب المأكل وصادف أن صاد الثعلب جرادة فأبصر الغراب وهو يضعها في فمه فبادره بقوله:

يريد أن يكرر فعلته السابقة ولكن الثعلب كان قد تلقن درساً من قبل فأجاب وهو يطبق أسنانه السفلى مع العليا(جغيده) يريد (جريدة) تصغير جرادة غير أن أطباق فمه جعله لا يستطيع أن ينطق فنطق به كما ينطق بحرف الغين ! .

التقليد الأعمى:

كان الغراب يرى النسر العظيم إذا جاع ينقض نازلاً من قبة السماء فيتخير خروفاً أو تيساً فينشب أظفاره في شعر ظهره فيرفعه برجليه حتى إذا بلغ ارتفاعاً شاهقاً أطلقه من مخالبه ورمى به على الأرض فيموت وإذا كان على حصى أو حجارة فإنه ينكسر فيتبعه النسر ويأكله.

وذات مرة جاع الغراب جوعاً شديداً ولم يجد ما يأكله.

فسأل نفسه: لماذا لا أعمل كما يعمل النسر؟

وقال له عقله: إنك لست في حجم النسر؟

فقال: إنه ينبغي لي أن أحمل نصف ما يحمله النسر لأنني في مثل نصف حجمه فاختار خروفاً صغيراً وانقض عليه و أنشب أظفاره في ظهره، وحاول أن يرفعه فلم يستطع لأنه ليس له قوة النسر وكرر المحاولة فلم يستطع حتى راه راعي الغنم فأقبل نحوه فحاول الغراب أن ينجو بنفسه ويطير راضياً من الغنيمة بالسلامة !

ولكن ، هيهات لقد نشبت أظفاره في صوف الخروف، ولم يقدر على تخليصها حتى وصله الراعي فأمسك به وقتله.

وهكذا ذهب الغراب ضحية التقليد الأعمى.

حكايات الوحوش والسباع



سبب رحيل الأسد من نجد:

كان الأسد في القديم يوجد بكثرة في جزيرة العرب ولكنه هاجر منها ورحل وسبب رحيله فيما تقول الحكايات الشعبية أنه كان له خادم من الثعالب فكان الأسد يهينه ويكلفه مالا يطيق من العمل وكان إلى ذلك لا يعطيه كفايته من الطعام وإذا شكا إليه الثعلب حاله لم يبال به ولم يأبه لشكواه ! .

فأضمر الثعلب في نفسه أن ينتقم من الأسد ولكنه بقى متحيراً مدة طويلة إذْ كيف يستطيع مثله وهو الضعيف الجهد الصغير الحجم أن يفعل شيئاً ضد الأسد الذي هو ملك الحيوانات المفترسة؟ .

إلّا أنه أخذ يعمل الحيلة في ذهنه قائلاً: إذا كان الأسد كبير الحجم عظيم القوة، فإنني كبير العقل عظيم الحيلة، والحيلة تنفع في بعض الأحيان أكثر مما تنفع القوة.

واهتدى إلى حيلة سرعان ما نفذها.

كان الثعلب يسكن في ركن بيت خرب تركه أهله قد بقى فيه سقفه الذي كان من الخشب بالطبع وبعض جدرانه فأحضر الثعلب حبلاً قوياً وعقده في إحدى خشب السقف القوية وجعله يتدلى بين السقف والأرض على أكثر

ارتفاعاً من قامة الرجل قليلاً وجعل في أسفله انشوطة أي : عقدة واسعة إذا ضغط عليها انطبقت.

وجعل الثعلب يقفز من الأرض فيدخل من هذه العقدة الواسعة دون أن يمسها ثم يقع إلى الأرض.

ولما أتقن لعبته تلك دعا الأسد وعزم عليه أن يزوره في بيته حتى يشرف البيت بدخوله وأن يقدم له بعض ما يؤكل.

فوافق الأسد على ذلك تحت إلحاح الثعلب جبراً لخاطره وعندما حضر إلى البيت ورأى الحبل المُعلّق في السقف وفي أسفله هذه الفتحة الواسعة لم يفهم المعنى الذي من أجله وضعت فسأل الثعلب عن ذلك. فأجابه قائلاً:

أيُّها الملك هذه وضعتها لعبة أتسلى بها في أوقات فراغي حتى أحافظ على رشاقة جسمي، وخفة حركته.

فقال الأسد: وكيف يكون ذلك؟

أجاب الثعلب: سأريك أيُّها الملك العظيم.

ثم قفز قفزة عظيمة فدخل من فتحة الحبل المربوط ومرق منها إلى الأرض بخفة. فأعجب ذلك الأسد وقال: كرر هذه العملية اللطيفة.

فأخذ الثعلب يكررها وأخذ الأسد يمد جسمه ويحاول أن يقلده في ذهنه، ثم قال له عقله: لماذا لا تجرب أيُّها الأسد ذلك ؟ .

فسأل الثعلب: أيجوز أن أجرب أنا ذلك لأن جسمي ثقيل يحتاج إلي رياضة وتمرين ؟ .

أجاب الثعلب وهو يكاد يطير من الفرح ولكنه كتم فرحه وتظاهر بالشفقة والإخلاص قائلاً:

أخشى أيُّها الملك أن تسقط قبل أن تصل العقدة فيتأذى جسمك بذلك، وإذا تأذيت لحق الأذى بنا جميعاً نحن معشر رعاياك.

فحمل ذلك الأسد على التمسك بالتجربة ليظهر للثعلب أنه ما زال قوياً شاباً.

ثم جمع الأسد جسمه وقفز حتى إذا توسط جسمه داخل عقدة الحبل أطبقت عليه لأن حجمه كبير وجسمه ثقيل فبقي معلقاً بين السماء والأرض متألماً من ذلك.

فلما تأكد الثعلب من أن حيلته قد انطلت على الأسد أخذ يضحك منه ويتفل نحوه، بل ويضرط عليه، فرحاً بذلك وشماتة بالأسد، ولم تجد توسلات الأسد شيئاً في أن يطلقه ولما ذكر له الثعلب أنه فعل به من باب الانتقام منه طلب منه الأسد أن يعمل على إطلاقه وأنه في مقابل ذلك لن يعود إلى احتقار جميع الثعالب أو محاولة إلحاق الأذى بها بل إنه سيعظمه هو بالذات ويجعله وزيره الذي لا يخرج عن رأيه ولكن الثعلب سخر منه وقال:

أيُّها الأسد لقد ذهب ملكك الذي تعدني أن تجعلني وزيراً له، وينبغي لك أن تعلم بل أن تتيقن أن هذه الغرفة الخربة ستكون قبرك الذي لن تخرج منه إلا عظامك بعد حين.

ثـم أخـذ يعيـد الاسـتهزاء بالأسـد، والـسخرية منـه. وبعـد ذلـك تركـه وانصرف.

كان ذلك في وقت الظهر، وقد ظل الأسد معلقاً على حالته تلك بقية ذلك اليوم والليلة التي بعده وبعد الظهر من اليوم التالي حتى مر بالمصادفة فأر فرأى الأسد على تلك الحالة المهينة بعد العز والسطوة.

فسأله: ماذا بك أيُّها الملك العظيم؟

فأجاب الأسد بكل انكسار وبصوت لا يكاد يسمع من شدة التعب والألم والجوع : لقد ضحك عليّ أحدهم فتركني هكذا.

فتحركت في نفس الفـأر النخـوة (الجرذانيـة) وقـال: لا تجـزع أيُّهـا الأسـد سوف أخلصك لأن المعروف في مثلك لا يضيع. ثم صعد إلى السقف حتى أتى مربط الحبل من عند الخشبة وقرض الحبل بأسنانه فسقط الأسد إلى الأرض ولبث برهة، وهو لا يكاد يصدق بأنه قد أفلت من ذلك السجن المعلق، وكان أشد ما عليه أن التفت إلى الفأر فرآه يتمطى ويتبتخر في مشيه ويقول بزهو وكبرياء: لقد عملت معروفاً لملك الغابة، لقد خلصت الأسد من ورطته.

فأقسم الأسد على نفسه وقد نسى ما صنعه به الثعلب لقاء تحمل منّة الفأر وقال : والله إن بلاداً يحتال عليّ فيها الثعلب، ويمنُ عليّ فيها الفأر لا تصلح للسكنى والله لن أسكن فيها بعد ذلك وقد بَرَّ بقسمه فخرج من نجد ولم يعد إليها حتى الآن .

الله يكفيك شر ابن آدم والطريق:

كان أحد الأسود قد عمر طويلاً دون أن يرزق بولد ذكر يخلفه في الملك على الوحوش الأخرى، ويوفر له عيشه عند عجزه عن الصيد ويقدم له ما يحتاج إليه في كبره من بر ورعاية فأخذ الأسد يتدبر في ذهنه الأسباب التي جعلته يحرم من الولد فهداه تفكيره إلى أن من أهمها الظلم الذي تمارسه الأسود، وكونها تحرم في كثير من الأحيان الأم من الحيوانات من أولادها أو تحرم الأولاد من أمهم لذلك تاب إلى الله من هذا الأمر، واقسم على نفسه أن لا يقتل من الحيوانات أمّاً ذات أولاد ولا أولاداً لهم أم، بل أقسم ألاّ يفجع مخلوقاً في مخلوق إنما يأكل إذا احتاج إلى الأكل ما كان خلاف ذلك. بل إنه تمادى إلى أكثر من ذلك فأخذ على نفسه أن يكف الأذى عن الآخرين فإذا عرف مثلاً ان هناك ذئباً أو ثعلباً مؤذياً أوقفه عند حده، وكف أذاه عن الناس.

وسار على هذه الخطة برهة من الزمن وفي يوم من الأيام التاريخية السعيدة جاءت لبوته تزف إليه البشرى بأنها تشعر بأعراض الحمل .

وكان بعد ذلك إن ولدت شبلاً بهي الطلعة، مكتمل الصحة، فآمن الأسد بأن دعاءه قد استجيب، وزاده ذلك تديناً فانصرف للعبادة وأخذ في موعظة

الأسود والوحوش الأخرى ينهاها عن الاعتداء على الآخرين وحتى في القصاص فانه يأمرها بعدم تجاوز الحد.

وكان أولى الجميع بنصحه وتأديبه ولده العزيز فكان ينصحه أكثر من غيره، ولكن النصح إذا كثر وكان بطريقة سافرة قد يغري في بعض الأحيان بدل أن يمنع ولو كان ذلك من باب حب الاستطلاع لا من باب القصد السيئ.

وكان الأب يدعو لشبله العزيز لديه ويكثر من ا لدعاء ومن بين دعائه الذي سمعه ولده كثيراً قوله: الله يكفيك شر ابن آدم والطريق.

فلما أكثر من هذا الدعاء سأله الشبل ما هي الطريق وما هو ابن آدم؟

فأجابه أبوه : ابن آدم مخلوق ضعيف القوة في بدنه إلاّ أنه ذو حيلة ودهاء قلّما يخلص منهما حتى الذين هم أقوى منه بدناً، وأكبر حجماً من الحيوانا ت الأخرى.

وأما الطريق يا بني فإنه أكثر الأماكن التي يطرقها ابن آدم في البرية وكان الشبل غريراً معافى البدن وافر الصحة إلى جانب كونه مدللاً لم يمارس الأمور الصعبة كما هي الحال في أكثر أبناء النعمة الذين يشبهونه فحمله ذلك على التحدي وكانت نتيجة وعظ أبيه له عن الاقتراب من ابن آدم والطريق أغراء له بذلك.

فانتهز فرصة غياب والده في يوم من الأيام عن منزلهم، وسأل أحد أصدقائه سراً عن ابن آدم والطريق أين يجدهما فقال له : أما الطريق فهو في

تلك الجهة وأشار إلى جهة معينة وأما ابن آدم فإنه ليس مستقراً في مكان واحد في البرية و لكن ا لطريق يؤدي بك إليه إذا سلكته فهو إما أن يجعلك تلقاه فيه و إما أن يقودك إلى مسكنه، فأسرع الشبل يقفز الشجر والحجر وكأنما هو يطير لخفة حركته، وكمال نشاطه.

وكان في أشد الشوق إلى لقاء ابن آدم ذلك الذي حذره أبوه منه لكي يقضي عليه وإن كان لا يعرفه ولا يعرف قوته ولكنه كان يعتقد أنه لا يوجد حيوان آخر يستطيع أن يستعصى عليه أن يقهره، ولكي يثبت بذلك لوالده أنه لا خوف عليه من أي شئ كان والده يخاف عليه منه .

بل قال في نفسه: انه لو لم يكسب من التغلب على ابن آدم إلا كون والده سيكف عن ذلك الدعاء الذي مَجّه سمعه من كثرة ترديده (الله يكفيك شر ابن آدم والطريق) .

ووجد الطريق كما وُصِفَ له، فسار متبختراً متكبراً واثقاً من انه لن يجد أحداً لا يستطيع أن يتغلب عليه وبينما هو كذلك وإذا بخروف من الخراف النجدية الكبيرة يركض وهو خائف وجل، فاعترضه الشبل فازداد ذعراً وخوفاً، ولكنه قال له :

لا تخف ، فأنني لا أريد إيذاءك وإنما أريد بعض المعلومات !

فدهش الخروف: وقال :

بعض المعلومات ؟

ثم سكت لحظة – لعلها لكي يبتلع ريقه يرطب به حلقه الذي شعر بأنه قد أصابه الجفاف ثم قال في نفسه :

بعض المعلومات ؟ وتساءل :

ومتى كانت الأسود تقنع من فرائسها بالمعلومات؟ ثم إن الذي يأكلك كلك لا يحتاج منك إلى معلومات لأنه يكون قد عرف ظاهرك وباطنك .

إلا أنه راجع عقله وقال: لو لم يكن هذا الأسد الصغير يريد ما قاله لما كان في حاجة إلى ذلك ولكان قضى عليّ بضربة واحدة.

لذلك التفت إلى الشبل وقال له : أية معلومات تريد أيُّها الملك الصغير؟

فأجاب الشبل: أريد معلومات عن ابن آدم؟ ألم تره من قبل ؟

فضحك الخروف مع أنه ليس في موضع ضحك وقال: وهو يحاول أن يتغلب على بقايا ضحكته الطويلة:سألتني عما إذا كنت أعرف ابن آدم ؟ وهل شقائي وبلائي إلاّ منه؟ إنني أعرفه حق المعرفة.

فقال الشبل: إذا أخبرني عن مقدار جسمه هل هو أكبر منك ثلاث مرات أو أربع مرات مثلاً.

فجحظت عينا الخروف وأجاب وهو لا يزال يغالب بعض أنفاسه التي يحاول التقاطها من جراء الركض والخوف: أكبر مني أربع مرات أو ثلاث مرات ؟ لا ، لا ، إنه أقل من ذلك. ثم علا وجهه الجد والتفت إلى الشبل، وقال له:

إنني أرجوك أن تسمح لي بالذهاب فأنا أخاف من ابن آدم أن يلحق بي فيعذبني أو يذبحني ويأكل لحمي، وكان في كلامه رنة أسى رقَّ لها الأسد الصغير فتركه ينصرف إلا أنه لاحظه وهو يبتعد هارباً فعجب من شدة الخوف من ابن آدم التي كانت لا تزال مسيطرة على طريقة الخروف في الهروب.

فأذكى ذلك روح التحدي في نفسه، وزاده رغبة في لقاء ابن آدم .

ثم مضى الشبل سائراً في الطريق وإذا بحمار يقابله وهو مذعور، وقد اتسع منخراه، وعلا فحيح صدره فأعترض طريقه وسأله وهو يقاوم في نفسه الرغبة في التهام قلبه كما يقاوم الصائم الشهوة إلى الطعام:

هل رأيت ابن آدم؟

ولم يهضم عقل الحمار هذا السؤال، وإنما أجهش بالبكاء وهو ينظر ببعض عينيه إلى يد الأسد التي تعودت منها الحمير ضربة تدع مخ الرأس نثراً منثوراً. إلا أن الأسد طمأنه إلى أن ذلك لن يكون منه، وإنما قصده أن يسأله عن ابن آدم وأن بإمكانه أن ينصرف بعد ذلك.

فأخذ الحمار يردد كلمات (ابن آدم) (ابن آدم) الأسد؟ ابن آدم؟ كما تردد الببغاء لا يزيد على ذلك فعزف الأسد عن ابتغاء الإجابة منه وإنما قال: أريد منك الإجابة على سؤال لا يحتاج إلى تفكير كبير ثم ادعك تنصرف:

هل ابن آدم أكبر منك جسماً أم أصغر؟ وإذا كان أصغر لماذا يغلبك؟

فأجاب الحمار؟

أصغر ؟ أكبر؟ أنا أكبر، لكنه في الحقيقة أكبر. لماذا يغلبني؟

فقال الأسد: نعم لماذا يغلبك وهو كذلك؟

فأجاب الحمار؟

لا أدري !

فغضب الأسد وقال للحمار: اذهب ! لا بارك الله فيك فأنت أهل لأن يغلبك من هو أصغر منك جسماً إن كان ابن آدم أصغر منك. فولى الحمار الأدبار، وظل الأسد يرقبه حتى اختفى في الغبار.

ثم عاد الشبل إلى مواصلة سيره في الطريق وإذا به بعد فترة يرى مخلوقاً ضخم الجسم، كبير البطن، طويل القوائم بحيث أن الأسد داخله بعض الخوف من منظره على البعد وإن كان هو لا يسمي ذلك خوفاً وإنّما اهتماماً حتى إنه يشك في أن هذا هو ابن آدم الذي حذره أبوه منه، ودعا له بأن يكفيه الله شرّه.

فاستعد للقائه، وسرعان ما وصل كل منهما إلى صاحبه فبادره الأسد قائلاً:

أأنت ابن آدم؟

فأجاب: كلا.

فسأله: من أنت إذاً ؟

فأجاب:أنا البعير

فقال الأسد: مالي أرى عليك الفزع و الاضطراب؟

فأجاب: لأنني هارب ممن ظلمني وعذبني، وأخشى من أن يدركني فينتقم مني بزيادة تعذيبي وتحميلي من العمل ما لا أطيقه.

فسأله الأسد بعفوية: من الذي ظلمك؟

فأجاب البعير بسرعة: إنه ابن آدم.

وهنا اضطرب الأسد، فقد اعتقد أن ابن آدم الذي ظلم البعير وعذبه وعجز عن مقاومته بحيث لم يجد وسيلة للتخلص منه غير الفرار سيكون أكبر جسماً من البعير، وأشد منه قوة مما قد يجعل التغلب عليه أمراً صعباً إلا أنه أراد أن يعرف مقدار تلك الضخامة في جسمه، والقوة في بدنه فسأل البعير:

هل ابن آدم أكبر منك كثيراً في الحجم ؟

فأجابه البعير، لا، بل إنه أصغر مني.

فسأله الأسد: أصغر منك بماذا؟ بمقدار النصف مثلاً؟

فأجاب البعير: إنه أصغر من ذلك بكثير، إن جسمه أقل من ربع جسمي!

فأنتفض الأسد وقد عاوده الشعور بالثقة والشجاعة وقال للبعير بلهجة فيها الكثير من التأنيب والتعجب:

كيف يكون أصغر منك بهذا القدر ويغلبك؟ ألا تحس بالعار من هذا الأمر؟

فأجاب البعير وهو يلتفت إلى الناحية التي كان قد جاء منها:

إن الأمر كما ذكرت، ولكن حاول أسلافنا منذ العصور القديمة أن يتغلبوا عليه، ويغسلوا عن أنفسهم هذا العار ولكنهم لم يفعلوا ذلك مما ولد لدينا – نحن الأجيال (البعيرية) الصاعدة أن التغلب على ابن آدم مستحيل ولو كنا أكبر منه جسماً وأعظم قوة لأنه يغلبنا بالحيلة والدهاء وهما أمران لا نحسن منهما مثلما يحسنه، بل لا نحسن منهما شيئاً على الإطلاق.

وكان البعير يتكلم مع الأسد وهو يلتفت إلى الجهة التي قدم منها كأنَّما يتطلع إلى شيء.

فسأله الأسد الصغير عن سبب ذلك؟

فأجاب: إن ابن آدم لابد أن يتبعني، وإني لا بد أن أجعل بيني وبينه مسافة كافية للإفلات منه.

فقال الأسد: إنني أود رؤية ابن آدم فصفه لي حتى أعرفه فقال البعير: ليس المهم هو المعرفة فإن معرفته سهلة إذ هو بخلاف سائر الحيوانات يمشي منتصباً على اثنتين، وإنما المهم ألا يراك على البعد لأنه إذا رآك تخلص منك حتى لا تستطيع الاقتراب منه.

و بينما كانا يتحدثان إذا بالبعير يقول فجأة بتأثر بالغ:

أنظره ، لقد أقبل، اختبئ حتى لا يراك، وقد لفظ الكلمة الأخيرة وهو يبتعد هارباً.

أما الأسد الصغير فإنه اختبأ خلف شجرة من الأشجار الصحراوية حتى وصله ابن آدم، وكان وهو يقترب منه يضحك في نفسه من ضآلة جسمه

ويعجب من غرابة تركيبه حتى تعجب منه كيف لا يقع على الأرض إذا مشى وهو لا يحمله إلا قائمتان اثنتان، وقال له تفكيره: إن ذلك لا بد أن يكون نقطة ضعف في ابن آدم حتى إذا كان قد اعتاد المشي على رجلين اثنتين فان المشي غير القتال، وإنه إذا قاتل وهو كذلك فان أقل ضربة من خصمه ستوقعه على الأرض وذلك بخلاف ذوات الأربع التي يتيح لها الوقوف على قوائمها الأربع عند القتال عدم الوقوع على الأرض بسرعة.

و عندما وصل إليه ابن آدم قفز الشبل من مكمنه وصار أمامه بحيث عرف أنه لا يمكن الهرب منه.

فقال له بازدراء واستخفاف:

أأنت ابن آدم ؟

قال : نعم .

فضحك ضحكة طويلة مجلجلة وقال: أأنت ابن آدم الذي حذرني والدي منك ، وأنت الذي تغلبت على الحيوانات الكبيرة؟

فلم يفهم شيئا وإنّما تمالك خوفه، ووجد في الحديث فرصة قد تؤخر بطش الأسد وتتيح له وقتاً ولو قصيراً للتفكير في الخروج من هذا المأزق الذي وجد نفسه فيه فسأل الشبل بنبرة فيها الكثير من التظاهر بالبراءة والاستكانة:

حذرك أبوك مني؟ وهل سبق أن عرفني؟ أنني لا أذكر أنني قد تشرفت بمعرفته من قبل. و حتى أنني لا أعرف محله فهل لك أن تذكر لي جلية الأمر؟

وكانت نبرات كلامه تبدو للشبل بشكل مختلف عن كلام غيره من الحيوانات حتى انه قال في نفسه: أهذا هو الشعر الذي سمعت أنه كلام حلو رقيق.

لذلك أراد يستزيد منه ولكن بطريقة تبدو عفوية فقال: نعم، لقد حذرني والدي منك مخطئاً بل إنني سوف أثبت خطأه لأنني أشعر أن بإمكاني أن أضرب بكفي رأسك ضربة تفتته إلى أجزاء لا تتصور صغرها، وسوف اثبت لأبي خطأه في تكرار الدعاء بأن يكفيني شر ابن آدم والطريق فها أنا ذا في الطريق، وأمام ابن آدم ومع ذلك فأنا سيد الموقف وإنني أتحداك بأن تفعل لي أي شيء.

فتيقن الرجل أنه سوف يفتك به لا محالة إلا أن الشبل أخذ يتأمل جسم ابن آدم ويتعجب منه، وقد لاحظ الرجل ذلك ووجد الفرصة سانحة عندما قال له: امش أمامي فأنني أحب أن أرى مشيك وأنت تقبل وتدبر تمشي على قائمتين اثنتين.

فسار الرجل سيراً عادياً، ثم أخذ يرقص ويقفز ويأتي بحركات غريبة طرب لها الأسد بحيث قال للرجل: إنني لا عجب منك كيف تستطيع أن تمشي على اثنتين وإذا بك تستطيع أن تأتي بهذه الحركات العجيبة ولا تسقط.

فقال الرجل: إذا كان هذا يعجبك فأنني سوف أريك أعجب منه، سأريك كيف استطيع أن آتي ببعض الحركات الصعبة وأنا على رجل واحدة فقط إذا كنت تحب ذلك.

فقال الشبل بسرعة: نعم، إنني أود ذلك فأرني.

وكان مع الرجل حبل قوي كان قد أعدّه ليقيد به البعير إذا أمسك به، وقد تحزم به، فحلّهُ من حول خاصرته وربط به إحدى رجليه وأخذ يقفز بالأخرى قفزات خفيفة، ويأتي بحركات لم ير لها الشبل مثيلاً من قبل مما جعله يقول للرجل:

إن عندكم يا بني آدم أشياء لا يحسنها غيركم من الوحوش.

فما هو السبب في ذلك؟

فقال الرجل: السبب أنهم لم يتعلموها لأنهم لم يجدوا من يعلمهم إيَّاها لأن الثقة كانت معدومة بين الوحوش وبين بني آدم فأضمر الشبل في نفسه أن يخدع الرجل لأنه في موقف ضعف، ثم إنه لا يستطيع أن يفلت منه، فسأل الرجل قائلاً: وما معنى ذلك الآن؟ إن انعدام الثقة كانت تبعد ابن آدم عن الوحوش ولكننا الآن متقاربان بل نحن الآن أدنى من ذلك فماذا لو علمتني بعض هذه الألعاب؟

فانشرح صدر الرجل لهذه الفكرة، وقال بتغافل:

لا مانع من ذلك، وإن كان سيضيع علي وقتاً أُفَضِّل أن أنفقه للحاق ببعيري.

فسخر منه الشبل في قرارة نفسه، وقال: يلحق بعيره؟

ثم أجاب نفسه على سؤاله بقوله: إن كان حَيّاً فليلحق به.

ثم أخذ الرجل يعلم الشبل الوقوف على رجليه، وذلك بأن يمسك يديه ويجعلهما تستندان عليه لئلا تقعا.

هذا و الشبل يضحك والرجل يضحك له لكي يضحك منه بعد ذلك.

وبعد لحظات سعيدة من المرح والفرح بالنسبة للشبل، وكانت بالمقدار نفسه لحظات من الترقب والتوقع بالنسبة للرجل فاه الرجل بالعبارة التي كان الشبل يتوق إلى سماعها وهي قوله:

لقد نجحت يا صاحبي في تعلم هذه المشية الطريفة مشية بن آدم التي تكتفي بالمشي على قائمتين اثنتين، وما تحتاج لكي تكون ماهراً فيها إلا بعض التمرينات، ولم يبق عليك لكي تكون مثلي إلا أن تتعلم كيفية المشي على رجل واحدة مع أداء بعض الألعاب وهي تتطلب قدراً كبيراً من الرشاقة و القوة والذكاء ولست بحاجة إليها بعد أن تعلمت المشية الأولى، فدعني أذهب في طريقي حتى أدرك بعيري، قال ذلك وهو يعلم بذكائه وخبرته أن الشاب المغرور يزيده النهي عن الشيء ولوعاً فيه أكثر مما يرده عنه، وإلا فإنه كان يتمنى أن يصر على أن يتعلم مشية القفز على رجل واحدة بل إنها هي خطته لتدمير الأسد الصغير والخلاص من شرّه.

وقد حدث ما توقعه بالفعل إذ انبرى الشبل بكل عنجهية وغرور يقول : لا ، لا، لا بد لي من تعلم هذه المشية أيضاً، ولديّ كل المؤهلات التي ذكرت

أنها لازمة لمن يريد أن يتعلمها فأسرع الرجل بالحبل القوي الذي معه، وشد به يدي الأسد مع إحدى رجليه شداً محكماً فلما استوثق منه قال له: هيا أيُّها الشبل الصغير لتلعب بينما أنا آخذ قسطاً قليلاً من الراحة أنا في أشد الحاجة إليه.

فقال الأسد: ولكن إذا كنت ستأخذ قسطاً من الراحة كما تقول: كيف تلقنني درس هذه اللعبة؟ قال ذلك وهو يحاول النهوض فقال الرجل: لقد علمتك أيُّها الشبل المغرور درساً لن ننساه طول حياتك.

وكان الأسد في هذه الأثناء قد حاول النهوض ولكنه سقط على وجهه سقطة ضحك لها الرجل بارتياح لأنها مرغت أنف الشبل في التراب مما جعله ينظر بغضب إلى الرجل ويقول له – متوعداً – لا أريد هذه اللعبة فَفُك حبلك هذا الذي أوثقني غير أن الرجل بدلاً من أن يستجيب لرغبته أخرج من حزامه سكيناً حادة كان يعدها لمثل هذه المناسبات، وجعل يخز الأسد بطرفها وخزاً غير نافذ ويضربه به على جلده ضربات موجعة يقصد بذلك أن يعذبه عذاباً لا يصل به إلى القتل حتى جعل الدم ينزف من عشرات الأماكن في جسمه وقد استشاط غضباً، واختلط زئيره بصراخه مع تأوهاته حتى فقد الوعي وخَرَّ مغشياً عليه فكف عنه الرجل حتى استعاد وعيه، وهذه المرة لم يكرر له الطعنات والوخزات وإنما قال له باستخفاف وازدراء:

أيُّها الحيوان الصغير، لقد كان بإمكاني أن أقضي عليك بسكيني هذه من الضربة الثانية أو الثالثة لأنك تستحق ذلك بلا شك، غير أنني لن أفعل ذلك

إكراماً لوالدك الحكيم الذي حذرك من ابن آدم ومن الطريق وأخبرك أن ابن آدم يستطيع بحيلته أن يعمل أكثر مما تستطيع الوحوش بقوتها أن تعمله.

ثم تركه وانصرف راجعاً من حيث أتى، ولم يواصل سيره للحاق ببعيره لأنه كان مضطراً لإحضار حبل قوي آخر يقيد به بعيره إذا وجده وأما الشبل المذكور فإن الرواي يعرف أنه وصل إلى أبيه بعد معاناة من الجروح ومن التعب ومن الجوع والعطش لأنه كان يجر نفسه جراً وهو مقيد القوائم الثلاث.

ويعرف راوي القصة أن والده أحضر كبار أطباء الوحوش لمعالجته إلا أن الرواي لا يعرف على وجه الدقة ما إذا كان قد شفي من جراحه تماماً أم أن بعضها أبقى على جسمه عاهة مستديمة إلا أنه عرف أن الشبل قد زايله الغرور فأصبح يتقبل نصائح والده ونصائح غيره من الشيوخ الكبار الذين عركتهم السنون، وهذبت أفكارهم التجارب، بل إن الراوي يقول إن الشبل أصبح أحد الشباب الذي ينشرون هذا الفكر (الرجعي) !!! كما كان يسميه قبل ذلك – بين أوساط الشباب!!! .

حلم (الضبعة) :

أعتادت الضبع أن تزعم للوحوش الأخرى أنها كثيراً ما ترى الأشياء في المنام قبل وقوعها وأن حلمها لذلك صادق وحسها مرهف.

حتى غدت معروفة بذلك فكانت إذا وقعت بأحد الوحوش واقعة، أو نزلت ببعضها نازلة قالت : لقد رأيت ذلك في المنام.

بل إنه إذا حصلت معركة بين جماعة من الأعراب في الصحراء وخلفت ورائها عدداً من الجثث فشبعت منها الضباع والنسور، وشاركت في هذه المائدة صغار الوحوش من الثعالب والغربان؛ فإن الضبع تنتهز هذه الفرصة وتبدأ في الحديث عن صدق أحلامها في منامها.

وقد حمل ذلك بعض الوحوش على أن تعتقد صدقها في قولها وبعضها كالثعلب والذئب لا يعتقد بذلك غير أنها من باب المجاملة في المعاملة تبدي الموافقة التي هي شرط المرافقة وتزعم لنفسها أنها بذلك لا تخسر شيئاً وإنما تسر زميلاً في حياة التوحش فتحفظ له بذلك عنده يداً قد تحتاج إليها في يوم من الأيام إذا نفد الطعام ولم يبق إلا ما في جحر الضبع من اللحم الذي على العظام.

وكما يكون الأمر مع كل من يدعي إتقان أمر كبيرٍ بأن تكون لذلك ضربة لابد من تحملها ولو من تفكيره أو تدبيره فإن الضبع قد اعتادت على أن

تجيب على أسئلة السائلين (المتوحشين) في كثير من المسائل التي كانت تجد لها جواباً.

ألّا أنها ضاقت ذرعاً بذلك عندما كانت في مجلس (وحشي) في الصباح الباكر وهي كانت في حالة نفسية سيئة ربما كان سببها أنها كانت قد تخاصمت الليلة البارحة مع شريك حياتها فتهاجرا وإن كانت هي تزعم أن الأمر ليس كذلك وأنها لا تهتم بغضبه، ولا برضاه.

وفي هذه الحالة النفسية التي هي عليها سألها أحد الوحوش الصغيرة ماذا حلمت أيُّها الضبع - بما أنه سيكون في هذا اليوم؟

فأجابت بسرعة وبعصبية تحاول أن تسيطر عليها:

حلمت بأنه سيكون فيه صحو، أو سيكون فيه غيم ! .

بني يكلب وبني يشلق :

كان هناك ذئب قوي جداً فكان إذا أغار على رعية الغنم لم يكتف بواحدة يأكلها أو باثنتين يتخير ما فيها من اللحم والباقي يتركه لغيره من الوحوش التي تأكل اللحوم بل كان يحرص على أن يقتل من الغنم أكبر كمية ممكنة يأكل ما يشاء ويترك غيره يأكل ما يشاء، لأنه أولاً يتلذذ بقتل الغنم ولو لم يكن محتاجاً إلى أكلها وثانياً لأنه لا يضمن أن يجد غنماً يغير عليها كلما أراد أن يأكل. ولم يكن يوجد في زمنه سلاح من البنادق النارية وإنما كان يوجد السهام والرماح وهو حذر نشيط لا تؤثر فيه تلك الأسلحة القديمة.

وقد أعجز رعاة الغنم وأهالي المواشي أن يصيدوه رغم اجتهادهم في ذلك.

ولكن كل شيء له نهاية. و الحيوانات إذا لم تمت بالقتل ماتت بالهرم فقد أدركه الهرم حتى عجز عن أن يعمل ما كان يعمله من افتراس الغنم وأصبحت أنيابه كليلة لا تقوى على ذلك.

فجلس حزيناً يفكر في أمره ولم يجد إلّا أن يبحث في بقايا الموائد التي افترسها يفكر في أمره ولم يجد إلاّ أن يبحث في بقايا الموائد التي افترسها غيره من الذئاب، إلا أن تلك الموائد نفدت، فرأى أن أحسن طريقة لذلك أن يعتمد على أحد الذئاب الشابة.

وكان يعلم أن الذئاب عندهم ينقسم عنصرها إلى قسمين أحدهما هم بنو يكلب وهؤلاء ليس فيهم خير كثير إذ تتهمهم الذئاب بأن في نسبهم شيئاً من عرق الكلاب أي أن إحدى جداتهم قد عاشرها كلب.

والعنصر الثاني هم بنو يشلق سموا بذلك لأن الواحد منهم يشلق الفريسة من الغنم إذا عدا عليها أي يقطعها إلى نصفين و هم الصفوة المختارة من الذئاب وهم أيضاً جماعة هذا الذئب نفسه وأبناء عمه.

وجعل يلتمس ذئباً من النوع الأخير وكان بصره قد أصبح أيضاً كليلاً من الكبر فلم يكن يميز صفات الذئاب التي هي من قبيلة بني يكلب من التي من قبيلة بني يشلق.

فرأى ذئباً شاباً قوياً ملئ الجسم، حسن المظهر فقال له: يا يني أنا ذئب عجوز قد أصابني الهرم، وعجزت عن الإغارة على الغنم ولم يبق لي الدهر إلا الخبرة والنصيحة فإن شئت أن أصاحبك أعطيتك من خبرتي و أونسك بأخبار الذئاب الأقدمين وأساطيرهم الشعبية وتطعمني من لحم فرائسك؟

وقد ظن الذئب الهرم من مظهر الذئب الشاب أنه من بني يشلق فلم يسأله في أول الأمر عن القبيلة الذئابية التي ينتمي إليها وسارا معاً يحدثه عما مر به من الأحداث في الأيام السابقة وكيف كان يأكل الغنم ولا يتعرض لبني آدم إلاّ إذا كان شقاء الآدمي هو الذي يضعه بين يديه كأن يصر على اعتراض طريقه أو على محاولة اصطياده ! .

وكان مما قاله له: يابُني إيَّاك وأكل ابن آدم فإن لحم بني آدم مسموم بمعنى أنه لا بد من أن يعاقب الذئب الذي يأكل بني آدم لأن أقارب ابن آدم يدعون الله على الذئب الأكول، وقد يستجاب دعاؤهم. ثم إن ابن آدم لديه حيل كثيرة لا تخطر على بال الذئاب ولا تدركها فطنهم، وخير وسيلة لاتقاء شر ابن آدم أن تهرب منه وتبتعد عن طريقه.

وعليك أن تأكل من الغنم التي خلقها الله لذلك وهي إن لم تأكلها أنت أكلها ابن آدم فهي موائد شهية تمشي على الأرض إنما هي لك أو لأخيك أو لابن آدم.

وبينما كانا يتحدثان إذا بغبار عظيم قد انجلى عن قطعة غنم أبصرها الشاب على البعد فأخبره بذلك فقال له الذئب الكبير.

أسرع ، أسرع، فربما يكون الراعي بعيداً عنها ونحن جائعان والوقت مناسب.

فأسرع يعدو ثم سرعان ما رجع خائباً منكس الرأس فسأله: ما الأمر؟

فقال: وجدت معها ابن آدم.

فسأله: أهو كبير أم صغير؟ طفل أم شاب؟

فأجاب: إنه كبير ، إنه امرأة كبيرة الحجم تلبس ثوباً أسود كثياب بعض الغنم، ولم أرها إلا بعد أن قربت منها وحين رأيتها وليت هارباً.

فقال: وهل تعد المرأة من بني آدم الذين يخاف منهم الذئاب؟

ثم اخذ يراجع حسابه في نفسه، وأخذ يعرف أنه من بني يكلب، ولم يطق صبراً على ذلك فسأله من أي قبيلة ينتمي إليها من قبائل الذئاب؟

فأجاب: أنا من قبيلة الذئاب، ويكفي ذلك شرفاً لي.

فزاده ذلك ظناً بأنه من تلك القبيلة ولكنه لم يجد بدا من مصاحبته في السفر إذ لا يوجد غيره من الذئاب في ذلك المكان.

وسارا معاً حتى إذا كان من الغد وقد بلغ الجوع بكل واحد منهما مبلغه رأياً غنماً ليست كثيرة ولكنهما لم يريا معها راعياً فاستبشرا خيراً وأغار الذئب الشاب عليها ثم رجع خائبا منكس الرأس فارغ النابين.

فسأله: لماذا لم تغنم منها ؟ أمعها أحد من بني آدم ؟

فأجابه: لا، لم أر أحداً من بني آدم قريباً منها ولكنني رأيت معها كلباً قوياً مخيف النظرات فخفت ورجعت!

وهنا تيقن الذئب الكبير بأن صاحبه بالفعل من بني يكلب ولكنه سكت إذْ لم يكن بيده أن يفعل غير ذلك وهو الكبير الضعيف.

وسارا جائعين مفلسين حتى رأيا بعد مدة غنماً بعيدة فانطلق إليها الذئب الشاب وظن أنه قد واتاه حسن الحظ إذْ لم يجد عندها راعياً ولا كلباً ولا أحداً فأنشب نابه في رقبة شاة من الشياه وبينما كان يحاول أن يقتلها أو يجرها إلى حيث صاحبه الكبير أجفلت الغنم وركضت في اتجاهات متعددة مما جعل راعيها الذي كان بعيداً عنها ينتبه لذلك فأسرع إليها يركض و الذئب

(اليكلبي) يحاول أن يقضي على فريسته أو يقودها وهي حية إلى حيث صاحبه فلم يستطع، ولخوفه وجبنه أطلقها ونجا بنفسه.

فسأله الذئب الكبير عما فعل؟ فأخبره بذلك.

فسكت على مضض.

وبنما كان ماشيين جائعين كاسفي البال إذا هما يلتقيان بذئب شاب يركض ركضاً وكأنه يطير إذ يظن المرء إذا رآه أن رجليه ويديه لا تمسان الأرض.

فسلم عليهما وحياهما و بعد المراسيم المعتادة في لقاء الذئاب بعضها ببعض سألهما من أين أقبلتما؟ وإلى أين أنتما ذاهبان؟

فأخبراه وقالا: إننا جائعان ونبحث عن فريسة فهل أنت مثلنا؟.

فتجشأ جشاء عظيماً وقال: الحمد لله، الذئب الذي يشبع من اللحم والشحم ويروى من الدم في الصباح لا يجوع في الظهر -وكان الوقت ظهراً- .

فلما أظهر الذئب الكبير له حاجته إلى الطعام وشدة ضعفه من الجوع رثى لذلك، وقال: تفضلا معي نبحث عن غنم رأيتها صباحاً بعد أن شبعت فلم أتعرض لها ورجعا معه فإذا بهما يصلان إلى مكان الغنم التي عدا عليها فإذا بهما يجدان ثلاثة خرفان مفترسة، فأراد الذئب الكبير أن يأكل فمنعه من ذلك وقال: حقك عليّ يا عم كبير، ولا يمكن أن أتركك تأكل من فريسة ذبحت لغيرك بل لابد من أن أحضر لك فريسة حية أحضرها لك وحدك.

فقال الذئب الكبير: يا بني، لا ينبغي للواحد منا – نحن الذئاب- أن نعتدي على غيرنا بل ينبغي أن نأكل بقدر حاجتنا ولا نزيد على ذلك.

وبعد لأي أقنعه بأنه يمكنه أن يكتفي بهذه الخراف الموجودة فأكل هو والذئب (اليكلبي) الذي كان يتابعهما دون أن يكون له رأي فيما يقولانه أو يفعلانه.

وبعد أن شبعوا جميعاً ناموا في جوف وادٍ تحت ظل شجرة صحراوية إلى أن حل الظلام وهو الموعد الذي يبدأ فيه الذئاب بالجولان في العادة.

فساروا يتعاوون ويتضاحكون والذئب الكبير يعلل الذئبين الصغيرين بأخبار الأولين وحكايات السالفين من الذئاب مع أعدائهم من الرعاة والكلاب إلى أن انبلج الفجر، فناموا جميعا في تهويمة من النعاس اللذيذ ببطون ممتلئة وعيون قريرة.

وقبل الظهر استيقظ الذئب الكبير فأيقظ رفيقه وساروا جميعاً وإذا بهم يرون نقطاً سوداء متفرقة في الصحراء تبين بعد ذلك أنّها غنم ترعى فأسرع الذئب (اليشلقي) وقال: ابشروا باللحم ! .

فناداه الشيخ الكبير وقال له : يا بني لا تقل هذا فربما يكون معها راعيها، فقال: إذاً أبدأ براعيها فإذا انتهيت منه بقيت الغنم كلها لنا.

فقال له: لا؛ ثم لا، احذر يا بني من أن تمس ابن آدم لأن رزقنا الحلال هو في الغنم التي خلقت لنا ولغيرنا وإذا لم نأكلها أكلها غيرنا أما ابن آدم فإنه لا يجوز أكله، ثم نحن للآن غير جائعين فلماذا الافتراس؟

فأجابه: الافتراس ليوم لا يكون فيه افتراس، اشبع وادفن بجلدك ما دام إنك قادر على الشبع لأن الجوع ما يفوتك يا عم – الجوع تلقاه كل ما بغيته و الشبعة ما تلقاها كلما أردتها.

قال ذلك وهو يمد صوته بالكلمة الأخيرة لأنه كان قد أبعد عن صاحبه.

ووجد الغنم ليس عندها الراعي فأختار شاة كبيرة و أنشب نابه في رقبتها وسرعان ما حضر الراعي يعدو، وإذا به يجرها بقوة ويقودها إلى حيث صاحباه، ولم يستطع الراعي اللحاق به على شدة ركضه لأن الذئب ذهب إلى تلةٍ جبلية هناك.

ثم نادى صاحبيه وقد بقر بطن الشاة وقال للشيخ:

كل يا عم من كبدها وقلبها فإن والدي – رحمه الله- يقول إنه نافع لقلب الكبير من الذئاب! .

وجاء الذئب (اليكلبي) يلتمس الفضلات كما يفعل الثعلب ولشدة دهشته إذ تعرف على الشاة فعرف أنها التي عضها بالأمس وحاول أن يقودها فلم يستطع، فامتنع عن الأكل . فسأله الذئب (اليشلقي) عن سبب امتناعه؟ فأخبره، فقال له:

كل وأنا ولد يشلقي، وإلا تراني أروح واجيب لك حالا غيرها.

وهكذا استغنى الذئب الكبير عن سؤال الذئب الشجاع أهو من (بني يكلب) أم من (بني يشلق) إذ تيقن أنه من الآخرين! .



الذئب الراعي:

مرض راعي الغنم مرة فاحتار أهله فيمن يرعى الغنم بعده إذ العادة أن يرعاها فتى أو فتاة أو حتى امرأة ولكنهم لم يجدوا عندهم من يقوم بهذا.

فبحثوا عن أي شخص يقوم بهذه المهمة ولابد من أن يكون شخصاً ذا مكانة عند الغنم بحيث تخافه وتنصاع لأوامره وإلا فانها قد تشرد وتتيه في الصحراء أو تأبى الانتقال إلى المكان الجيد المرعى.

ولما كانوا في مكان ناءٍ من الصحراء وليس بقربهم أحد من بني آدم فقد فكروا في أن يجدوا من الحيوانات من يقوم بهذا العمل فالتفتوا حولهم فإذا بهم يجدون الحمار ففرحوا بذلك لأنه أكبر جسماً من الغنم بل من ابن آدم، وهو صبور على المشي وهو مثل الغنم يحتاج أيضاً إلى المرعى الجيد لذلك سيختار لها ولنفسه ما يضمن لها الشبع.

فاجمعوا أمرهم على أن يجعلوه يرعى الغنم، فأرسلوا عجوزاً لهم كبيرة لتبلغه هذه الرسالة التي هي شرف له لم يحلم به ولا أباؤه (الحماريون) من قبل.

إلا إن العجوز بتجربتها التي علمتها السنون أدركت أن الحمار لا يصلح لهذه المهمة لأنه ليس لديه الشخصية القوية التي يفرض بها إرادته على مرؤسيه من الأغنام.

فعادت إلى أولادها قائلة: إن الحمار لا يصلح لهذه المهمة !.فسألوها بدهشة: لماذا لا يصلح وهو كبير الحجم، واف الأعضاء قوي المشي؟ فأجابت

لأنه ضعيف الشخصية، وضعيف الشخصية لا يحترمه أحد، بل لا يمتثل مرؤوسوه لما يصدر إليهم من أوامر إن سمح ضعف شخصيته بإصدار الأوامر.

فسألوها: ما هو الدليل على ضعف شخصية الحمار؟

فأجابت: هو أن الذئب وهو أصغر منه حجماً بكثير، إذا جاء إليه أصاب الحمار (عقر بقر) فوقف في مكانه حتى لا يستطيع السير و الهرب فضلاً عن أن يدافع عن نفسه، ولو استعمل قوته البدنية في الدفاع عن نفسه تجاه الذئب لأمتنع منه، إلا أنها وهي تريد أن تكمل حديثها قاطعتها بنت صغيرة من الأسرة قائلة: لقد طرأت على بالي فكرة جيدة.

فتركوا حديث العجوز والتفتوا إلى البنت يسمعون كلامها، ويتركون كلام العجوز قائلين:ما هي تلك الفكرة؟

أجابت: لماذا لا نجعل الذئب هو الذي يسرح بالغنم؟

أليست شخصيته قوية؟ أليست الغنم تخاف منه وتنصاع لأوامره؟ .

فَحبَّذوا كلهم هذه الفكرة وبخاصة أنها جاءت من رأس فتاة جميلة وليس من دماغ عجوز كبيرة وهكذا نادوا الذئب واخبروه بقرارهم.

إلا انه بدلاً من أن يضحك بهذه المناسبة كما كانوا يتوقعون لأن هذا منصب لم يكن له شرف القيام بشغله من قبل جعل يبكي !!!! .

فعجبوا من ذلك وسألوه:لماذا تبكي أيُّها الذئب؟

أيؤذيك أن ترعى الغنم؟ أهو عمل شاق إلى هذه الدرجة؟

ألك موعد سابق مع إحدى (الذئبات) تخشى أن يفوتك؟ أم ماذا ؟

فأجاب: لا هذا ولا ذاك. إنما : (أبكي على رجال الصدق) . الذين إذا قالوا شيئاً أتموه !!! .



الثعلب الذي قطع ذنبه:

كان الوقت في اول فصل الصيف، وكان العنب قد أينع على شجره في بستان كله عنب فاخر يسيل لعاب الثعالب لمجرد ذكره فضلاً عن رؤيته.

غير أن ذلك البستان حصين السور، محكم المنافذ بحيث دار الثعلب حوله عدة مرات عسى أن يجد له منفذاً إليه فلم يستطع.

وعندما كاد أن ييأس من ذلك لمعت في ذهنه فكره طالما استفاد منها في التسلل إلى البساتين، بل وبعض البيوت التي قد يجد فيها ما يشتهيه تلك هي فكرة البحث عن مجرى للماء ولو كان ضيقاً..

وعندما وجد ا لمجرى أخذته النشوة والإعجاب بنفسه بحيث أنه جعل يرقص فرحاً ويردد الأغاني الثعلبية إلا أن فرحه كاد يكون ترحاً إذ رأى أن ذلك المجرى ضيق جداً إلى درجة جعلته يشك في إمكان نفاذه منه ولكنه لم ييأس وحاول وهو يقو ل في نفسه:

المهم أن يدخل رأسي من هذا المجرى لأنه الذي لا استطيع أن أضغط عليه حتى أجعله ينكمش فيدخل.

وحاول ونجحت محاولته، فنفذ إلى داخل البستان.

فوجد فيه ما يتمناه، وجد العنب اللذيذ الذي أكل منه إلى حد التخمة.

وعندما فرغ من ذلك أخذ يتمشى في أركانه فوجد حظيرة للأرانب في ركن خفي منه، ووجد في الحظيرة أرنباً منها قد وضعت صغارها حديثا. فجعل يقتل ويأكل من هذه الأرانب الصغيرة التي لا تستطيع الدفاع عن نفسها ولا تستطيع حتى أن تحدث صوتاً قوياً يجذب الانتباه إلى أنها قد هوجمت من أعدائها كما تفعل الدجاج.

وعندما فرغ من ذلك. وكان الوقت ليلاً وجد نفسه قد أصبح ذا بطن كبير ينافس بطن الحبلى التي حانت ولادتها فأوجس في نفسه خيفة من هذا الأمر الذي لم يحسب له حساباً رغم ذكائه، وبعد نظره.

وعندما وصل مجرى الماء الذي مر منه أسفل جدار السو ر في البستان تبصر بعد أن شبع وبعد فوات الأوان أن المجرى قد جعله بانيه بين أربعة أركان من الحجارة بحيث لا يمكن أن يتسع أو يستجيب للحفر إذا ما حاولت إحدى الحيوانات مرة أن تعبث به.

لذلك أدخل الثعلب رأسه فيه يريد أن يخرج ولكن بطنه الممتلئ بما لذَّ وطاب لم يسمح بالدخول وحاول ثم حاول، غير أن جميع محاولاته باءت بالفشل .

فداخله اليأس، واسلم أمره للقدر وظل مختبئاً في مكان خفي على أمل أن يجد فرصة يخرج فيها من باب البستان إذا فتح في النهار لأنه لا وسيلة غير هذه الوسيلة.

وفي الصباح المبكر جاء العامل الموكل بالبستان ومعه منجله الذي يقطع به الحشائش. ويبعد به الأعشاب الضارة عن الأشجار النافعة وفتح الباب فانتهز الثعلب هذه الفرصة الأولى ومرق من تحت رجليه غير أن حظه السيئ جعل العامل يمسك بذيله بعد أن فاته الإمساك بجسمه وخشي العامل أن يفلت منع فأسرع بقطع ذنبه بالمنجل.

و عندما كان الثعلب يعدو. و قد خسر ذنبه نتيجة لتحكيمه الشهوة الحاضرة على النظر في العواقب أخذ يفكر في وسيلة يبرر بها بقاءه بدون ذنب، ويتخلص بها ممن يريد أن يعيبه بذلك.

فكان أن وجدها بزعمه.

ذهب إلى مجمع الثعالب الكبير، وقال:

أيُّها الزملاء الأعزاء، أبناء الشعب الثعلبي العريق اعلموا أنني قادم لتوي من مؤتمر عقده حكماء الثعالب وطائفة من مفكريهم ووصلوا فيه إلى نتيجة مؤداها أن أذنابنا نحن الثعالب هي التي تدل علينا أعداءنا في أكثر الأحيان، بل إنها هي التي تنفر منها فرائسنا في أحيان كثيرة لأنها تعرفنا بها فتهرب منا. لذلك قرر المجتمعون أن يقطع الثعالب كلهم أذنابهم حتى يتلافوا ما ذكر. وقد بدأت أنا نفسي فقطعت ذنبي.

قال راوي القصة إلى هنا انتهى علمنا بوقائعها ولا ندري ما إذا كان المجتمعون قد اقتنعوا بوجهة نظره أو أنهم اكتشفوا حيلته وإنه يريد بذلك أن يكون أكبر عدد ممكن من الثعالب مثله فيسلم من التعيير! .

الذئب يتهاوت:

إلا أن الرواي الذي روى قصة الثعلب الذي قطع ذنبه فأراد أن تكون الثعالب كلها مثله روى قصة أخرى مقاربة حصلت للذئب فأحتال للتخلص منها بغير حيلة الثعلب.

كان الذئب جائعاً وقد أمضى مدة طويلة بدون أكل لذلك تاثر فكره بل تعطل عقله حتى أصبح يفكر ببطنه لا بعقله.

وقصد إحدى القرى الريفية النائية فوجد حوشاً مليئاً بالغنم غير أنه محكم الإغلاق عالي السور بحيث لا يمكن الذئب أن يتسلقه.

فهداه تفكيره إلى أن يبحث ما بحث عنه الثعلب: عن مجرى الماء فوجد المجرى ولحسن حظه في ظنه وجده مجرى قد أعد لخروج مياه المطر التي تتجمع في العادة داخل الحوش وما الحق به، ففرح بذلك ودخله وهو لا يكاد يستطيع أن يدخله لضيقه الذي أحس بأنه لو كان أضيق من ذلك ولو بمقدار ضئيل لما استطاع النفاذ منه.

ولكنه دخل بالفعل، ولم يضع وقتاً، وإنما تخير إحدى الشياه السمينة الكبيرة ، فشق بطنها وأخذ يلتهم ما بداخله من قلب ورئة بنهم بالغ.

ولم يشبع من هذا النوع من اللحم فأسرع بافتراس خروف راقه منظره فأكمل من جوفه ما كان نقص عليه من جوف الشاة.

ثم عاد يأكل أطايب لحمها ويلغ في الدم حتى شبع من اللحم أولاً ثم روى من الدم ثانياً.

وانصرف بنفس راضية، ومعدة ممتلئة يريد الخروج من حيث دخل غير أنه ما أن وصل إلى المجرى الذي كان قد دخل منه حتى عرف أن معدته قد امتلأت أكثر مما ينبغي، فتيقن أنه لا يستطيع النفاذ منه، ومع ذلك حاول فلم تفلح محاولته.فما كان منه إلا أن لجأ إلى الخداع الذليل.

لقد ظل في مكانه حتى أصبح الصباح، وعندما جاء الراعي إلى الغنم وجد الذئب بينها وقد نفخ نفسه حتى لكأنه قد مات منذ يومين غير أن الراعي لم يقدم على الاقتراب إلا بعد أن جعل يرجمه بالحجارة الكبيرة والصغيرة والذئب صابر لا يتحرك منه عضو، ولا يطرف له جفن. ثم أخذ الراعي عندما أطمأن قليلاً إلى ذلك بضربه في عصا كانت معه، ونخسه بشدة أحياناً أخرى في المواضع الحساسة من جسمه، ولكنه لم يتحرك. بل انه بدا كأنه لا يحس بأي شيء مثلما تكون عليه حالة الميت تماماً مما أقنع أصحاب الغنم بأن الذئب ميت فسحبوه برجله إلى خارج المكان بينما كان بعضهم يحثو عليه التراب، وبعضهم يلقى عليه الحجارة.

و لكنه ما أن تيقن أنه قد أصبح بالفعل في ميدان الحرية حيث تخلص من الأسوار حتى وثب بقوة وبسرعة وأطلق سيقانه للريح بين دهشة الموجودين واستغرابهم، وأسفهم لكونهم لم يقتلوه حتى لا يعود إلى الاحتيال عليهم مرة أخرى.

الذئب في القليب :

طلبنا من الرواي الشعبي أن يروى لنا قصة وجد الذئب نفسه فيها في مأزق مماثل فقال: إنه لا يحضره من ذلك شئ طريف بالغ الطرافة ولكنه يروى قصة هنا حدثت في إحدى القرى التي يسكنها بعض الأعراب الذين تحضروا حديثاً وهي قرية لم يكن يتوفر فيها كل ما يتوفر في قرى أهل الحضر العريقين في الحضارة.

فكان لأحد سكانها بيت متواضع بسيط البناء قد جعل له حوشا واسع الفناء، إلا أنه غير مرتفع الجدار، وإنما جعله بحيث يرد دوابه التي هي عنز وشاة وحمار من أن تخرج من الدار ودابة غيره أن تدخل إليه حيث تكون طليقة النهار.

وفي ليلة مظلمة جاء ذئب كبير الجثة عظيم الخلقة، فشمَّ رائحة عنز قوية كانت في الحوش، وكانت الليلة شاتية قد جعلت صاحب البيت وزوجته يلحآن في أقصى صُفة فيه، ويضعان عليهما غطاءهما وهو بساط من الصوف الخشن(الساحة) وذلك جعلهما لا يدركان الأصوات البعيدة.

قفز الذئب فوق حائط (الحوش) ، ولم يكلفه ذلك كثيراً لقوة بدنه، وقصر الجدار، وقصد العنز فوراً وكانت طليقة في الحوش دون رباط إلا أنها قوية ففرت منه فتبعها وأمسك بها فظلت تحاول الافلات وهو يريد الامساك بها

حتى وصلا إلى شفير بئر في الحوش محفورة ومتروكة دون حاجز، ولذلك كانا في غمرة العراك لم يدركا البئر فسقطا معاً فيها وهما متشابكان.

ولم يكن الماء في قاع البئر كثيراً، ولا كان قعرها بعيداً.

لذلك لم يصابا بأذى بالغ.

غير أن الذئب لذكائه وخبثه ولكونه رأى انه مأزق لن ينجيه منه أن يبطش بهذه العنز التي تشاركه هذا السجن الذي لم يكن له في الحسبان فقد رأى استعمال السياسة بدل الافتراس فسكت ولم يفه بنبت حنك.

وأما العنز فأنها ظلت لوقت من الأوقات تثغو وتثغو حتى ملت فسكتت.

وعندما قرب الفجر أن يطلع استيقظت زوجة صاحب البيت فأسرعت إلى البئر تريد أن تخرج منه ماء لبعض حاجتها فإذا بها بعد أن أدلت الدلو تسمع العنز تثغو في أسفل البئر.

فكان الرجل أسرع منها إلى النزول فيها.

لقد قال لزوجته:

أمسكي بي الرشاء لأخرجها لئلا تتأذى، وربما تكون العنز في ورطة فلما وصل قاع البئر وقد أصبح في ظلامين بل ظلمات: ظلمة قاع البئر، وظلمة الليل، وظلمة إسراعه بعد القيام من النوم فأخذ يتحسس بيديه العنز يريد أن يربطها بالرشاء، ولكن يده وقعت على فم الذئب وأنيابه، فأقشعر جلده واستوحش من ذلك فصرخ في امرأته قائلاً:

يا مرة، إمسكي بي الرشاء عجلي (تراي أبي أطيح) !

فسألته:أربطته بالعنز؟

فأجاب وهو يرتفع بسرعة:

(لا، بالبير بلية ما أدري وشى هي ما هو ب العنز، إمسكي الرشاء).

وحالما خرج من الظلام أسرع يقول لأمرأته:

يا مرة ولعي حطب خلينا ندور عنزنا اللي بالبير ما هو ب العنز!

فقالت له: (أنا سمعتها تثغي).

فقال لها: لا الجن يثغون يا الخبلة؟ دوري العنز بالحوش!.

وهكذا بحثا على ضوء النار عن العنز فلم يجداها فتيقنا أنها مفقودة ولكنهما لم يستطيعا إلا أن يتفقا على قولهما: (نصبح، ونفلح).

وعندما أصبحا أفلحا بالفعل إذ اطمأنا إلى أن الذي في البئر هو العنز مع الذئب.

ففرح الرجل بالسلامة من ذلك الذئب الذي أوقعه حظه السيئ بين يديه في قاع بئر مظلمة في ليلة حالكة الأديم.

أمّا الذئب فلم يبد شيئاً من المقاومة أصلاً لأنه عرف بفطرته أنه أمام معركة خاسرة، وأن موقفه كان موقف الميؤوس منه.

لـــغويـــات

غرائب الكلمات العامية

غرائب الكلمات العامية

الأميميـــــــــة : انثى العصفور.

آوى لــه : رحمه واشفق عليه.

أبخــص بــه : أعلم به.

بتـــل : استمر

البحثية : الجزء الصغير من كرش الحيوان

بحـه بعينـه : نظر إليه شزراً

تبحرث الأمـر : اضمحل

بحل بـه : تحَير.

بخـق عينـه : ضربها بشيء حاد

بريض الشجرة : الورق الأخضر الذي يظهر فيها بعد يبس.

بـرّق في الـشيء : أمعن النظرفيه.

بـرم عليـه : خدعه.

البـــزر : الطفل الصغير .

بـزع برأيـه : انفرد به .

شخص باصـق .: بطئ في تصرفاته.

تبَلْتَـى : ضَعُفَ وعجز عن الحركة.

بلـش بـه : لم يستطع التخلص منه .

تبـوهن الـشخص : تحيَّر

البـاهس : شخص دقيق الملاحظة.

بهـش بـضيوفه : رَحبَ بهم .

البيـز : خرقة تقي اليد عند الإمساك بشيء حار.

التغْـرَه : الجُشاء .

تغـصه : أمسكه بقوة .

الجـحّ : البطيخ الأخضر

الجِـرُو : البطيخ الأصفر .

الجغمـة : من الماء أو اللبن ملوء الفم منه

الجـول : جماعة الطير الكبيرة مثل الحبارى.

الأجهـر : الشخص الذي لا يَرَى في الليل .

الحُبّـه : القُبْلة .

الحِبحـرِ : الفلفل الأحمر.

المحـبس : الخاتم .

المحـرول : المقعد.

الحَـزّة : الوقت .

الحِـشْرة : المحلة.

تحلحـل : تحرك من موضعه.

خـبن الثـوب : قَصَرَه .

الخـــذاريف : أضغاث الأحلام.

الخـــرابيط : الكلام غير المفهوم .

الخِـــرْمس : الظلام الشديد .

الخـــلاوى : المسافر في البرية وحده.

تخنْطـــل : إذا جاء متباطأ متبختراً.

الخـــور : النوق ذات اللبن.

الـــدّابّ : الحيّةُ.

الدّبُّوجـــه : القليل الفهم.

الدّبكَـــه : الركض الشديد.

دَجّ : أفلس.

الـــدّحم : الزحام.

دردب المـــاء : شربه بصوت مسموع.

الدشرمـــة : الفوضى.

انـــدعس : دخل في المكان الضيق.

دلـــق البـــاب : فتحه إلى أقصى مداه.

الدلبحـــــــة: الانحناء.

دودلـــه : دَلاَه.

الـــدوهاة : مناداة الإبل.

دهوكـــه : أوقعه في ورطة.

رَاوى في الأمــــر : لم يعزم.

الرّبْـــشاء : التي في يديها ورجليها لون يخالف سائر لونها من الماعز.

يرثـــع : يركض ركضاً غير شديد .

يَـرْدي عـلى المكـان : يتردد على المكان .

الـــرِسّ : الماء القليل في البئر.

رصــخ الرجــل : انتظر طويلاً.

الرّعاعــة : الجبان من الأشخاص .

الرهيِــف : ضد السميك .

زاعَ : تقيأ.

الزِبــــارة : المرتفع من الرمل.

زبــن في كــذا : لجأ إليه.

الـــزاروق : حيَّة دقيقة .

الـــزنخ : قليل الدِّين .

الزَّهـــاب : زاد المسافر.

تزَهّــل بكــذا : التزم به.

زهمــــه : ناداه.

الـــسّحّارة : الصندوق الخشبي.

ســحنَ الـشيء : سحقه سحقاً شديداً.

اتــسدح : تمدد على الأرض.

السَّنَعُ : حسن التّصَرُف.
السّاحَةْ : بساط خشن من الصوف.
شام عن الشئ : ترفع عنه .
الشبت : نوع كبير من العناكب.
الشَتْرَاء : العنز القصيرة الأذنين.
الشّدْفَا : اليد اليسرى.
الشري : ثمر الحنظل.
الأشعل : الأحمر المائل للصفرة.
المشفوح : المحروم من الطعام الطيّب .
الشّفُّ : الرَّغبَةُ.
الشقص : السهمُ.
الشماشيل : بقايا الطعام والمؤونة.
الشنق : الجانب.
الشنُّ : القربة اليابسة.
الشاوي : راعي الغنم.
الصّارفُ : العنز التي تطلب التيس.
الأصقه : الأصَمُّ.
أصمع القلب : الشجاع.
الصميل : السقاء.

الصّنَان : الرائحة السهكة في الجسم.

صهده : أمسك به بشدة.

الظلعُ : العرج الخفيف.

الطّرير : الحاد من السكاكين ونحوها.

طرش : سافر.

طَرَف عينه : أصابها بطرف يده أو ثوبه.

طَسّ : أبْعَدَ وفارق.

الطِعسْ : الرمل المرتكم المرتفع.

الطّغَامة : الرجل الذي لا يعي ما يقول.

طفح : طفا على وجه الماء.

طفسه : سَبّه سباً شديداً.

الطّمل : غير النظيف.

طنبس : طأطأ رأسه.

الطنز : السخرية.

المعذر : مكان تربية الخيل.

العَرْش : باطن القدم.

عرقة العامل : أجرُهُ.

المعَزّبه : الزوجة.

حسّربه : عَذّبَهُ.

اليـــد العَـــسْمَى : هي اليسرى.

العـــــسام : القتام.

العـــــصعص : أسفل فقار الظهر.

العـــــصل : الشخص النحيف.

العـــــصقول : الساق الدقيقة.

عفـــت الـــشيء : ثَنَاهُ.

العوقـــــده : الخطّاف.

العكـــــة : وعاء السمن من الجلد.

العَنُـــود : أنثى الظِّباء.

العُومَـــــة : الرجل الذي يصعب تدبيره.

العَيْـــد انـــه : النخلة الطويلة.

الغبيـــــب : الطعام البائت.

الْغَـــوْج : الحصان.

الفتخـــــة : الخاتم.

الفـــــاروع : الفأس ذو الرأسين

فلـــــخ : هرب بسرعة.

فَلَقَـــــه : شجّهُ.

الأفـــــنس : الأفْطَس.

القـــــراح : الماء العذب.

المقـــــرود : الشقي.

القِرْنَاســــه : الصّفْرُ.

قِـــزَا : أرِقَ لم ينم.

الاقـــشر : المؤذي.

القِـــصْف : النّقْصُ.

قـــضبه : أمسك به.

المقطـــع : القميص الطويل.

القَطْـــفُ : القَرْحة.

القِعْـــده : آخر أولاد الشخص.

القفـــصة : بَرْد الصّباح.

انقلـــع الرجـــل : أبْعَدَ.

القامّـــة : الحيّة.

القنـــاة : العصا التي لها رأس مكوّرة.

قَـــوْة : إمْش.

كِـــسِف : شخص سيء الخُلُقِ.

كايـــد : شديد.

لَـــزّ الفـــرس : جعله يجري جريا سريعاً.

لفَعَـــه : لَطَمَهُ.

الملقـــوف : الفضولي.

لهفه : أكله بسرعة.
تمدْغلَ : تقلّب على فراشٍ وثير.
مصق : انفلت بسرعة.
المطرسة : عدم إنجاز العمل.
يَمْغى به : يهزأ به .
نار البعير : شرد.
ناد الشخص : نعس.
ناه : انْظُر.
النّجِر : الهاون.
المنصبة : الأثفية.
النسيب : الصهر.
نغق الطائر : صَوَت.
النّغل : القاسي القلب.
المناقرة : المخاصمة.
واقَ : أطَلّ.
الوِبنه : العقدة في العصا أو الخشبة.
الوالم : الجاهز.
وَهَقه : غرّه.
هَجَ : هرب.

المهَفّــــــــة : المرْوَحة.
الهقْــــــــوة : الظّنُ.
الهــــــماج : الماء المُرّ.
الهــــــيس : الذي لا يفرق بين القبيح والحسن.

قصص وحكايات

حكايات الحيوانات البرية



الضَبُّ والديك:

كـان الـضَبُّ والـديك صـديقين روحيـين حميمـين، فكانـا يتلازمـان ولا يفترقـان رغـم مـا بيـنهما مـن الفـروق في الأبـدان إذ الـضب مـن الزواحـف الصحراوية والـديك مـن الهواتـف الأهليـة، ولكـن التـآلف بـين الأرواح قـد غلب التخالف في الأشباح.

و لقد سارت الأمور بينهما دهراً كان خلاله كـل واحـد مـنهما يُـصفي الـود لصاحبه كأصفى ما يكون الود ولا يرى منه بديلاً في حفظ العهد.

إلا أنه حدث بينهما ما يحدث بين الذكور على مرِّ الدهور إذا ما تعلق الأمـر بالشئون العاطفية، أو ما يتصل بها من الشجون القلبية.

فقد كان الضَبُّ أكثر خبرة بهـذه الأمـور مـن الـديك وكـان إلى ذلـك أكثـر حرصاً على الاستزادة منها والتمتع بطيباتها،وكان له تاج أحمر على رأسه طالما أعجب الديك وتمنىّ أن يكون له مثله، وكان يلـح عـلى الـضب بـإطراء تاجـه ذلك يخبره بأنه لـو كـان في مقـدوره أن يـشتريه بالغـالي ممـا لديـه ومـا يـستطيع الوصول إليه لما تردد في ذلك لحظة من اللحظات وعنـدما عـرف الـضب منـه ذلك أراد أن يستغله في تحقيق ما يريـده مـن ذلـك الـشيء العـاطفي. ولكنـه لم يـسارع إلى مجابهـة الـديك بـه لـئلا يلفـت نظـره إلى حرصـه عليـه فيـسارع إلى الزفض. وإنما كان يلقى على مسامعه مزايا هذه التاج وأهميتـه لمـن يكـون عـلى

رأسه ليس في حسن المظهر عند الذكور من الحيوانات وإنما حتى في الجاذبية التي له في قلول الحسان من الإناث لعلمه بأن هذا أمر يهم الجميع وأن الديك لا يختلف في الاهتمام به عن غيره من الذكور.

حتى تيقن بعد طول محاولات ومجادلات أن الديك سيشتري هذا التاج الجميل بأي ثمن يطلبه الضب فقال للديك: أعلم يا صديقي أنني سأفضى إليك بسرٍّ خاصٍّ لا يطلع عليه المرء صديقه إلا إذا كان من الخواص ذلك هو أن آلة الاستمتاع الجنسي عندي ضعيفة وهذا أمر كما تعلم يتفاداه الذكور، بأي أمر من الأمور، ولقد كان من أصعب الأشياء وأشقّها على نفسي أنني إذا قاربت (أم الحسل) زوجتي زايلتني سعادتي، وتكدر عيشي، فضلاً عما يعتريني من الخجل، وما يكون قبل ذلك من الوجل.

و أنني على استعداد لكي أشتري لي آلة لهذا الأمر بما يكون من القدر حتى أنني مستعد لكي أبيع في سبيل ذلك تاجي هذا الجميل الذي ليس له مثيل.

فلما سمع الديك هذا التصريح، كاد عقله يطير وهو يساءِل نفسه: أهذا صحيح؟.

ثم سأل صاحبه الضَبَّ منادياً إيَّاه باسم التدليل (حَمَدْ): يا حَمَدْ، ما هذا الاقتراح؟

أهو جد أم مزاح؟ .

فأجاب الضب: بل هو الجد كل الجد يا صديق العمر، لأن أهم ما لدى الذكر أن يستقيم له الأمر، وأن يصلح من أحواله عند أُمِّ عياله.

فقال الديك مسارعاً أحسنت يا صديق العمر صنعاً.

وإن أول من يستطيع أن يتعاقد معك وأن يفي لك بالعقد قطعاً هو صديقك القديم وهو أولى من غيره بهذا البيع العظيم.

لقد كان الديك لغفلته يقول ذلك ونسي انه إذا أعطى متاعه للضب مقابل التاج الذي على رأسه فإن ذلك التاج سيفقد سحره عندما يتضح أمره لمن يريده لهن.

ففرح الضب بالفرصة التي كان ينتظرها، ولم يضيعا وقتا بل قاما عجلين كل واحد منهما يخشى أن يعدل صاحبه عن إتمام الصفقة، وذهبا إلى محكمة الحيوانات فسجلا الصفقة التالية التي أخذ كل منهما نسخة من صك التسجيل. وتتضمن أن يعطى الضبُّ تاجه للديك وأن يعطيه الديك في مقابل ذلك ذكره، وتم ذلك بالفعل.

وذهب الديك مزهوّاً بالتاج، وكان ينعكس ضوء ريشه الأحمر والزغب الذي فوقه فيبدو كالذهب الوهاج.

أما الضَبُّ فَقَدَ فَقَدَ التاج الذي تقتصر منفعته على المظهر، ولكنه كسب ذكراً إضافياً فأصبح ذا ذكرين، بحيث يحس بالمتعة متعتين، ويستطيع أن يتزوج بأكثر من تينك الزوجتين.

وأما الديك فإنه سار مختالاً بتاجه وقد أصبحت الخيلاء ملؤ أوداجه، فصار وهو عائد إلى بيته يحجل و(يتصقل) ويتنحنح ويسعل حتى يلفت إليه أنظار من لا ينظرون إليه من الحيوانات، ولقد أثمر عمله ذلك فسأله عددٌ

منها عن هذا التاج الذي أصبح يلبسه كـأنما هـو أمبراطـور مـن الأبـاطرة، أو كسرى من الأكاسرة.

و قد زاده ذلك زهواً وخيلاء حتى أصبح أكثر كِبراً، وأعظمُ أملاً.

و قد تمتع فترة من الوقت، بخاصة عنـدما كـان في طريقـه مـن المحكمـة إلى البيت بالإطراء والإعجاب من كافة المعارف والأصحاب بل حتى ممن كـانوا من الأغراب لأن الجميع كانوا يعلمون من ظاهره مالا يعلمون من باطنه.

أما هو عندما وصل إلى البيت، فإنه أسرع ينـادي زوجتـه بـصوت فيـه مـن القول بقدر ما فيه من الفخر أن أنظري إلى هذا التاج البـديع الـذي يريـك في الخريف ألوان زهر الربيع.

فلما نظرت الزوجة (الدجاجة) إليـه كـادت تجِنُّ دهـشاً ورقـصت رقـصاً مدهشاً.

وصاحت من فرط الفرح، إلا أن صاحيها عاد (كأكأة) كما هو من طبعهـا، وطَبْع، جميع (ربْعها).

وتخيلت أن هذا شرف لم تنله دجاجة من قبل، لذلك قالت له بغير عَقْل.

إن هذا التاج يا زوجي العزيز، حـري بـأن يـبذل في ثمنـه الـذهب الأبريـز، ولقد أحسنت الشراء، بلا مراء.

بـالله لا تخـبرني يثمنيه، فـإنني أرى أي ثمـن بذلتـه فيـه إنـما هـو دون قيمتـه الحقيقية.

فلم يستطع إجابتها إلّا بكأكأة آخرها (قيّه).

ثم غابا في رقصة ظلا خلالها يحجلان ويدوران، وهما فرحان مسروران.

وبعد أن شبعا رقصاً أحسا بما يوحى به رقص الأنثى مع الذكر، مما يستحي من ذكره بنو البشر:

وكانت الدجاجة أسرع به إحساساً، إلا أنها كانت أقل من زوجها في التعرض له انغماساً.

فأخذت تتصنع وهي تتظاهر بأنها تتمنع، وهي طريقة يعرفها زوجها منها. إلا أنه – في هذه المرة – كان مجبراً على أن يصدقها.

لأن متاعه لذلك ليس معه، بل هو قد ضيّعه، وأعطاه صديقه الضب، مقابل هذا التاج الذي يشبه لونه لون الذهب.

أما زوجته فلم تكن قد علمت شيئاً من ذلك واعتقدت أن ساعة الفرح هذه هي أنسب الأوقات، لاقتناص الملذات.

لذلك غازلت زوجها ثم غازلت، فلما رأت صده عن ذلك تنازلت.

و هربت منه لكي تجعله يطاردها، مظهرة أنها غاضبة عليه، وهي في الحقيقة، تريد أن تهرب منه إليه.

و كانت قد جربت هذه الطريقة، وعرفت أنها خليقة بأن تطير صوابه فيسرع إلى الإجابة، إلا أنه لا يمكنه تحقيق ما تحلم به.

فناداها قائلاً: انظري إلى هذا التاج البديع الذي لا مثيل له، لترى كيف أصبح زوجك محل إعجاب الجميع.

إلا أنها تركته مغاضبة، وقالت له : وهي ذاهبة.

يا زوجي الغالي، لقد نظرت إليه وأُعجبت ثم أُعجبت به غير أنه لكل إعجاب حدّ، فلنؤجل الحديث عنه إلى غد.

ثم قربت من زوجها كما هي العادة، وهي تنظر منه الإعادة لسر السعادة، إلا أنه عندما رأى أن الحديث عن التاج، لا يغْنى المحتاج عما يريد.

قال: يا سيدة الدجاج، دعي عنك الحِجاج، وأسمعي إلى قولي بعد أن رأيت فعلي !.

ثم قصَّ عليها قصته مع الضب، وكيف استعاض بالتاج الظاهر للعيان عن متاع لا يعرفه إلاّ ذوو الشأن.

ولما رآها أظهرت الوجوم، وعلت محياها علامات الهموم و الغموم.

فكان جوابها فعلاً لا قولاً وكان الأمر هوْلاً لم ير مثله في حياته هوْلاً.

إذ انصرفت عنه مسرعة ذاهبة إلى بيت العازبات من الدجاجات، وفي الطريق لمحت ديكاً قميء المنظر ذي ريش أغبر وجسم أحقر إلا أنَّ ظاهره يوحي بأن مخبره أعظم من منظره فتعمدت أن تمر بقربه، وأن تتقرب إلى قلبه.

تاركة زوجها وتاجه وفخره الذي يملأ أوداجه ولما رأى منها ذلك عرف أن صديقه الضب الذي يسميه (حَمَدا) قد أورده المهالك، فعضَّ من الندم على مخلبه، إلّا أن الندم لا يفيد فأخذ يصيح ويصيح ويقول في كل مرة كلاماً غير فصيح إلا أنه بلغة البهائم واضح صريح : (حَمَد، حَمَد، ليه ، ليه) وهو يمد بذلك صوته وأحياناً يجعل أصبعه في أذنيه حتى يذهب صوته بعيداً عسى أن يسمعه الضب فيأتي إليه.

وكان ذلك أول ما تعلم الديك هذا الصياح، فأصبح سنة لعقبه في كل صباح أما الضَبُّ فقد نعم بما نعم به على حساب صديقه، وحاول أن يبتعد عن الديك حتى لا يمر قرب طريقه !!!!.

تمدد بها يا أبو طويله:

ظل اليربوع يعيش في بيته آمنا مطمئنا، ونظراً إلى أن مفاخره التي يستطيع أن ينافس بها غيره من الحيوانات الصحراوية محدودة وغير قادرة على الصمود أمام المنافسة، فإنه كان يجد في بيته البديل الصالح عن ذلك.

فكانت الحيوانات الأخرى إذا افتخر بعضها بشجاعته وبعضها بصموده أمام الأعداء الذين تمكن مقاومتهم وبعضها بذكائه لم يجد اليربوع أفضل من افتخاره ببيته هذا الذي يدل على مهارته في الحفر، وعلى ذكائه في كيفية تعمية بابه الخلفي الذي يستطيع النفاذ منه إذا دهمه خطر لا يستطيع مقاومته من الباب الرسمي.

وكان بيته إلى ذلك عزيزاً عليه، أثيراً لديه، ذلك بإنه الذي ولده فيه أبواه ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد وإنما يعلم حق العلم أنه قد شهد أوقاتاً طيبة قضاها والداه فيه عندما كان طفلاً لا يحْتْشم عنده من هذه الأمور.

وعندما شب عن الطوق، وبلغ مبلغ اليرابيع الراشدين واحتاج إلى أن يكون هو نفسه أسرة خاصة به، أذن له والداه بأن يحفر له في ركن من هذا البيت (شقة) خاصة بهِ ثم ما لبث أن زفت إليه فيها غانية من غانيات (بني يربوع) .

فزاده ذلك تمسكاً بهذا البيت وزاده ذلك بقدر ذلك فخراً به إلّا أنه عندما كان يتمتع مع (عقيلته) بأيام الزواج الأولى وكانت تحدثه عن وليدها المنتظر الذي لا يلبث أن يرى (الظلام) في هذا الركن من الجحر قبل أن يرى النور خارجه، إذ بتلك الأفعى الطويلة الثقيلة تلج الجحر، وقد سبقتها إليهما الجلبة العظيمة التي أحدثها زحفها على الأرض والرائحة الكريهة المميزة للأفعى عن رائحة غيرها من الوحوش والحشرات.

وكان من حسن حظه أن والديه لم يكونا في الجحر بل كانا خارجه في زيارة مريض من (بني يربوع).

ولم يكن في إمكانه أن يتلكأ أو يتأخر قليلاً إذ ذلك هو ما تريده الأفعى لأنه سيكون عندئذ قد وفر لها وجبة غداء ستتعب كثيراً قبل الحصول عليها.

لذلك بادر من دون أن يضيع أي وقت في التفكير والتدبير وضرب بجبهته السقف الترابي الذي يغطي الباب الأحتياطي. وخرج ينقز تتبعه قرينته العزيزة وهو يقول:

((بنيناها وزيناها، تمدد بها يا أبو طويلة)) !!! .ولم يكن ذلك من هوان جحره عليه، ولكنه من غلاء حياته وحياة أسرته لديه.

قنيفذ ؟ بالعرمة:

اتفق القنفذ والنعامة على أن يشتركا في الزرع ويتعاونا عليه.

وقد زرعا بالفعل، وكان التعاون والتعاضد كل بقدر طاقته، وهو الذي ساد هذه الشركة رغم التفاوت الواضح بين الشريكين في القوة الجسمانية غير أن جهد أحدهما كان يكمل جهد صاحبه فكانت النعامة أكبر جسماً، وأعظم قوة، ولذلك تطيق من العمل العضلي أو إن شئت قلت: (الريشي) أكثر مما يطيق القنفذ أن يتحمله غير أن القنفذ يعوض ذلك بكونه أكثر خبرة في شئون الزراعة لملازمته للزارع وتردده بين البساتين، واستماعه إلى نصيحة كبراء قومه ومشايخ القبائل (القنفذية).

وكان حظهما حسناً إذْ جاء المحصول وفيراً سالماً من الآفات التي كانت تصيب الزرع في ذلك الوقت،وكان زرعهما هو القمح فقط.

فعندما حصداه وداساه و ذرياه بوسائلهما الخاصة التي لم يعرف الراوي عن تفاصيلها ما يكفي حتى أصبح القمح كومة لها رأس على شكل الهرم تسمية العامة وحيواناتهم مثلهم (العرمة).

فاختلفا في الطريقة التي يقتسمان بها هذا القمح حتى طرح القنفذ على النعامة اقتراحاً سرعان ما قبلته.

قال القنفذ للنعامة: يا صديقتي وشريكتي المخلصة لقد زرعنا معاً ولم نختلف، واتممنا زرعنا حتى غدا كومة من القمح ولم نختلف كذلك لا يعقل أن نترك الاختلاف والشقاق يدب بيننا على أمر أيسر الأمور على الشريكين في الزرع إلاّ وهو اقتسام المحصول لذلك رأيت رغم ما في رأيي من بعض الغبن لي أن أتسابق أنا وأنتِ إلى كومة الزرع فمن سبق إلى الكومة فهي له.

يكفي أن نبتعد عنها مسافة كافية ثم نبدأ سباقنا في السحر لأن (البركة في البكور) فإن سبقتك إلى القمح كان لي وإن سبقتني إليه كان لكِ ! .

فرحبت النعامة بذلك أعظم ترحيب لأنها تعلم أنها أسبق من القنفذ في الجري عدة أضعاف، وظنت أن الفرصة قد واتتها أخيراً للاستئثار بالقمح بطريقة مشروعة.

أما القنفذ فإنه كان قد بيَّت أمراً:

اتفق مع جماعة من قومه (بني قنفذ) على أن يوزع أماكنهم في الليل ما بين ميدان السباق إلى كومة القمح، وهو يعلم أن النعامة ترفع رأسها عند الركض فلا ترى ما على الأرض بوضوح وبخاصة إذا كان الوقت ليلاً.

وفي الموعد ا لمحدد بدأ القنفذ والنعامة السباق فقالت ا لنعامة: يا الله بدينا يا قنفذ تخاطبه بالتصغير الدال على التحقير، فأجابها:

توكلنا على الله فرفعت رأسها، وبادرت تركض وبعد مسافة معينة رفعت صوتها منادية قائلة:

يا قنفذ فرد عليها أحد القنافذ كان قد أخد موضعه قبل ذلك: نعم أنا معك.

وكان موضعه خلفها قليلاً. فتعجبت من كون القنفذ قادراً على أن يظل غير بعيد منها وزادها ذلك حرصاً على السرعة في الركض.

وبعد قليل نادت: يا قنفذ.

فأجابها قنفذ آخر كان في مكانه منذ الليل وقال: نعم معك يا نعامة.

فركضت حتى تعبت، ثم نادت: يا قنفذ، وين أنت يا قنفذ؟

فأجاب قنفذ من المتربصين لذلك: قدامك يا نعامة وكان بالفعل أمامها فداخلها الشك في الفوز بعدما كانت قد أطمعت نفسها به بل قد تيقنت منه .

وقبل الوصول إلى كومة القمح مباشرة نادت يا قنفذ:

فأجابها قنفذ كان قد بات ليله في العرمة أي في رأس كومة القمح فقال: في العرمة!.

فقالت وهي لا تزال رافعة رأسها : غلبتني يا قنفذ.

الله يبارك لك بالقمح !!! .

لـغـويـــات

أقوال عامية مسجوعة

خَشِرْ، بِشِر، وعْوَيْدٍ منكسر : عندما يجد الطفل شيئاً.

غزال، والشرزال : عند رؤية الناقه من المرض.

تعب، وطق كعب : للمشي الكثير.

دَبّابٍ، ما له باب : للحبس المطبق.

طنين، وونين : لبكاء الطفل المريض.

ارفع رأسك يا الهطل، ارفع رأسك لايطل: تقوله المرأة لطفلها وهي تريد أن تزر إزار ثوبه.

سَمّ، عدوك يْسَمّ : عند المناولة.

تمر، وانسماح أمر : في مدح التمر.

شقْعه، لقْعـــــه : في المراغمة بالحرمان من الأكل.

يا الله مالي جصيصته،رابطٍ بقيرته،

ودافن أميمته : (دعاء العذارى).

غابت، لا غابت لنا بحبيب، ولا براعيات حليب: (عند غروب الشمس) .

لولا البقرا، مارحت أقرا، عند مطويع أهل شقرا

لولا عنزي، ما جيت أنزي.

لقيت ذعلوق، حلى مّا أذوق، لبين أمي ، ولبين النوق.

الروجحان ، عشر وثمان : (يقوله الأطفال عند اللعب بالأرجوحة).

أرنب نَطّت من بين ثنتين.
عدّه تلقاه عشر وثنين:(لغز حسابي).
يا هُمَّلاي، يا عجوز تلالي : للكثرة ولعدم المبالاة.
سبع، والحق الرّبع : عند العد.
ثمان، يا الله الأمان : عند العد.
شعر، ودرب وعر.
بلا، وجَلا.
حصا ، وقصا
ما حضر، ولانظر.
يا الله مطر وإلا سبيل، حتى ترضى أم سهيل.
هلا بالمطر، إلى قطر.
أمطرت واستهلت ، (...) العجوز انبلت.
اليوم الخميس ، نذبح ابليس، ونعطيكم منه موقعة حميس.
باكر الجمعة، نذبح عنزنا صمعه، ولا نعطيكم منها ولا زمعه.
صايد، يا أبالعوايد.
عفور، ورب غفور.
طهور، وذنب مغفور.
قنبص، إلى حركته نبص.

هاك كمك، خلاك لامك.

صقر على مركابته، لا خابت أمٍ جابته.

حتيش، وبتيش، وقضام العيش.

يا زين اللحيم، وقرض العظيم.

جربوع، وخير متبوع.

أسفرت، وأنورت، واستهلت وامطرت.

هزر، ونزر.

جوع، وطيّ ضلوع.

إن جاء على خاله، تعجبني أفعاله.

إن جاء على عمه، للذيب يخمه.

إن جاء على جده، قلبي يودّه.

بنات نعش، ينقلن نعش، من باب نعش، إلى باب نعش.

من العرش، إلى الفرش.

لولا الحوذان، ما جا لي اذان.

فرنج، كبر الترنج.

وش لون؟ تمرو لون.

وراه؟ من الله وكراه.

قصص وحكايات

قصص الحكام المتسلطين



العقول المتشابهة:

كان في أحد البلدان حاكم متسلط شرير يقتل الرجل كما يقتل الدجاجة، ويعاقب على الذنب الصغير كما يعاقب على الكبير، وكان إلى ذلك شرّاباً للخمر، فكان إذا سكر يأمر بأوامر إذا لم تنفذ عاقب على ذلك عند صحوه.

وذات مرة في فصل الشتاء سكر في الليل فأشتهى أن يأكل عنباً وكان في قرية قريبة من المدينة التي هو فيها بستان مشهور بالعنب الجيد. كان الفلاح الذي فيه رجلا يعتنى عناية تامة بالعنب، ويعرف كيف يجعله جيدا. فكان عنبه مشهورا في البلدة باسم عنب فلان.

فنادى الحاكم جنوده وقال لهم: اذهبوا إلى فلان واحضروا لي منه عنباً في هذه الساعة ولما كان رجاله يعرفون أن الفصل هو فصل الشتاء وأنه لا يوجد شئ من العنب فقد قالوا للحاكم: إذا لم يعطنا العنب ماذا نفعل؟ فقال لهم: أخبروه أنه إن لم يعطكم العنب فإنني سوف اقتله وأحضروه معكم وإيّاكم أن ترجعوا إليَّ إلاّ بالعنب، أو بالفلاح.

ولما كان الجميع يعرفون عنه الصرامة والقسوة وأنه إذا قال إنه سيقتل شخصاً فأنه سيفعل ذلك فقد تيقنوا أن الفلاح المسكين لابد أن يقتل لأنه لا يوجد عنب في فصل الشتاء بطبيعة الحال.

و لكنهم لابد لهم من الامتثال لأمر سيدهم، وإلاّ انقلب الأمر عليهم فحل بهم العقاب.

لذلك أسرعوا بالخروج إلى القرية فوجدوا الفلاح يعمل في فلاحته غير عالم بما يخبئه له القدر.

وعندما لمحهم قادمين اضطرب وشعر بالخوف لأنه ظن أنهم جاءوا يطلبون ضريبة جديدة لا قبل له بها كعادتهم .

و لكنه مضطر لمجاملتهم لئلا يكلف أكثر من ذلك في تلك الحالة.

فأسرع إليهم محييا مرحبا وإن كانوا يعرفون أنه ترحيب متكلف فقد رثوا له هذه المرة لأنهم يعلمون أن ما جاءوا له أعظم هذه المرة من الضريبة واخطر. أنهم يعلمون أنهم جاءوا لينتزعوه من أرضه وحقله حيث يفارق كل ذلك إلى الأبد دون ذنب جنته يده، وإنما استجابة لنزوة عابرة من حاكم ظالم.

وقال لهم: تفضلوا حيث الراحة والطعام.

فأجابوه: لا وقت لذلك. وإنما عليك أن تسرع بالذهاب معنا إلى الحاكم.

فقال لهم مستفسراً وقد تغير لونه.

إلى الحاكم؟

فأجابوا: نعم. إلى الحاكم.

فيبس ريقه في حلقه، وجف لسانه، وقال: ماذا يريد منى ؟

فقالوا: يريد منك ما يسوءك ويسوء أهلك.

ولم يستغرب هذه الإجابة لأنه و غيره قد تعودوا ذلك منه إلاّ انه استعجل معرفة ذلك الأمر السيئ.

فقال: ما هو؟

قالوا ببرود: يريد منك عنباً!

فظن أنهم يهزلون لولا أنه ليس من عادتهم الهزل في مثل هذه المواقف.

فأشار إلى شجر العنب وقال:

يريد عنباً؟ انظروا إلى الشجر إنه ليس فيه أوراق فكيف يكون فيه ثمر؟

ألا تعرفون أننا في الشتاء وأن العنب لا يثمر إلا في الصيف؟

ثم كرر قوله هذا ثانية وهو ساكتون ثم قال ببرود:

وهو يظن أن الأمر يقف عند هذا الحد:

أخبروا الحاكم بذلك.

فقالوا بجد وصرامة هذه المرة: أخبره أنت بنفسك هيا معنا، ولتودع أهلك فقد أمرنا بأنك إذا لم تعطنا العنب فإننا يجب أن نحضرك إليه ليقتلك.

و تحقق عندئذ أن الأمر جد كله، وأنه ليس فيه من الهزل شيء، وأسقط في يده، ولم يحر جواباً، وإنما لبث فترة يفكر في هذه البلية التي لا مخرج منها.

و لكن تفكيره لم يطل إذ نخسه أحد الجنود بطرف سيفه وقال: تحرك، وامش معنا.

فلم يسمعه إلا أن يقول سمعاً وطاعةً. وأسرع إلى بيته ليخبر زوجته، وكانت امرأة سليطة اللسان، قبيحة المنظر، في سن الكهولة.

وكانت منذ أن أيام قلائل مغاضبة لزوجها لأنها كانت قد طلبت منه أن يشتري لها من المدينة ثوباً جديداً، وكان زوجها قد اعتذر لها عن ذلك بقلة ذات يده، وبأن عليها ثوباً يمكن أن يكفيها مدة من الوقت، ولكنها لم تقبل عذره.

و عندما دخل عليها يخبرها بذلك كانت لا تزال مغاضبة له على عدم شرائه الثوب لها.

فلما أخبرها بالأمر لم يجد عندها من الصدى العميق لهذا الخبر المؤلم ما كان يتوقعه، ولم يكن في حالة نفسية تتيح له أن يؤنبها على ذلك.

وفي هذه الأثناء سمع صوت الجنود يستحثونه على الإسراع في الخروج.

فخرج قبل أن يقضي وطره الذي كان قد أمّل أن يقضيه من الوصية العاجلة بما يحتاج أن يوصى به من كان مثله يعلم انه سيغادر بيته بلا عودة. وقد سمع امرأته وهي تسبه وتقول له: إنك إذا لم تحضر لي من المدينة الثوب الذي طلبته فإنني سوف أترك البيت وسوف ترى ما أصنع بك؟.

وذهب مع الجنود إلى المدينة فوصلوا بعد نصف يوم من السير ولما وصلوا قصر الحاكم أوقفوا الفلاح عند باب القصر ودخلوا على الحاكم فبادرهم قائلاً:

هل نفذتم أمري؟

فأجابوا : نعم يا طويل العمر.

فقال : هل أعطاكم العنب؟

فقالوا: ما أعطانا.

فقال: إذاً حضرتموه؟

فأجابوا: نعم.

فقال: هاتوا (الكلب)، ونادوا السّيّاف.

فأسرع الجنود إلى الفلاح وأخذوا يجرونه جراً ولما وقع نظر الحاكم عليه دفعوا به دفعة شديدة بحيث سقط على وجهه أمامه.

وتذكر أنهم لم يكونوا يجرونه أو يدفعونه قبل ذلك فتيقن أنهم صنعوا ذلك إرضاء للحاكم فيأس من نفسه، ولكن ليس في يده إلا اليأس.

ولم يوجه الحاكم إليه كلمة واحدة.

فأحضر الجنود النطع وهو فراش من الجلد يوضع تحت الرجل الذي يقدم للقتل حتى لا يلطخ دمه الأرض والفرش التي عليها.

ثم عمدوا إلى الفلاح فجردوه من ثيابه التي كانت عليه، ولم يُبْقُوا إلا ثوباً خلقاً خفيفاً لا يساوي شيئاً وقد فعلوا ذلك كعادتهم في القتيل حتى لا تتلطخ ثيابه بالدم فلا تنفعهم.

وبقي الفلاح فوق النطع في انتظار وصول السيّاف الذي لم يجده رسول الحاكم في الموضع الذي كان يوجد به في العادة فراح يبحث عنه.

ولم يكن على الفلاح غير ذلك الثوب الخلق المهلهل.

و كان موضعه من القصر وسط فناء داخلي واسع تحيط به غرف في الطابق الثاني.

فجعل من في الغرف من نساء وصبيان ينظرون إليه، ليتفرجوا برؤية قتله ويروا كيف تكون حالته عند القتل.

وكان ساهماً منكس الرأس، إلا أنه عند ما طال عليه الأمر رفع رأسه فوقعت عينه على وجه امرأة جميلة كانت تُطل من إحدى الغرف فبهره جمالها، وبخاصة ما لاحظه من أن وجهها يمتاز بنظاره فائقة حتى خُيل له أنه يقطر منه ماء النعيم وبخاصة عندما قارنه في ذهنه بوجه زوجته الكالح المتغضن الذي يوحي مرءآه أول ما يوحي به بعدم الشكر، وبنكران الجميل.

ثم كرر النظر إليه فلم ير فيه شيئاً من أمارات العداء وملامح الشر الظاهرة على وجوه معظم الذين قابلهم من الرجال في القصر فخيل إليه أن هذا الوجه الجميل كأنما بعث رحمة له يواسيه في ساعته تلك.

إلا أنه عندما التفت العينان الساهمتان في ذلك الوجه الجميل بعينيه مرة ثم أكثر من مرة شعر بشيء آخر.

لقد ارتفع الجزء الأمامي من ثوبه الخلق، وعندما نظر إليه وكأنما صحا من حلم لذيذ وفطن إلى حاله أطلق ضحكة مجلجلة سمعها الحاكم مع من سمعها.

و كانت ضحكة غريبة في مثل هذا الموضع بحيث قال له الحاكم وقد ذهب السكر عن عقله:

يا هذا: أأنت مجنون حتى تضحك في موضع يبكي فيه العاقل؟ .

فأجابه الفلاح بدافع يأسه من الحياة يأساً جعله لا يبالي بما يخرج من فمه:

إنني أضحك أيُّها الحاكم لتشابه عقول ثلاثة.

قال : و ماهي؟

قال الفلاح: هي عقل زوجتي التي ترى رجالك يذهبون بي إلى الموت ومع ذلك تسبني وتشمني ، وتقول لي: إنك إذا لم تحضر لي الثوب الذي طلبته منك فإنك سوف ترى ماذا أصنع مع أنها أولى الناس بتقدير الموقف الذي أنا فيه ومواساتي على هذه المصيبة عليّ وعليها بعدي.

والثاني هو عقل متاعي عندما رأى وجه الشابة الجميلة التي أطلت من النافذة تحرك حتى ارتفع مقدم ثوبي ولم يقدر موقفي.

والثالث: هو عقلك أنت أيُّها الحاكم الذي تطلب مني العنب في الشتاء وإلا قتلتني، ولم تقدر موقفي الذي يعلمه الجميع من أن العنب لا يوجد في الشتاء بل إن ورق العنب لا يوجد في الشتاء.

فقال الحاكم: ماذا تقول؟

فأعاد عليه القول نفسه.

فقال الحاكم: وهو يلتفت إلى أعوانه وجلسائه: والله لا يكون عقلي مثل عقل امرأة هذا الفلاح وعقل متاعه: اطلقوا سراحه، واشتروا له ثوباً يعطيه امرأته حتى يسلم من شرّها!!!.

الحجاج وولده:

يقولون إن الحجاج قد عرف أن الناس سوف يدعون عليه بعد موته بدعاء قد يكون مستجاباً، وذلك لما كان صنعه فيهم من الظلم والعنف والقسوة التي تكون في أكثر الأحيان بالقتل وأحياناً بما يقرب من ذلك.

وعندما مرض وعرف أنه راحل عن هذه الدنيا وأنه سيفارق الملك والسلطان، ندم على ما فعله من الأفعال الشنيعة، وأراد من الناس أن يجعلوه في حل ويسامحوه عما فعله فيهم فشاور أحد رجاله المخلصين في ذلك.

فقال له الرجل: أخشى أن الناس لا يسامحونك إذا طلبت منهم ذلك فانتفض الحجاج غضباً وقال: لا يسامحوني؟ أنا أخليهم يسامحوني غصباً عنهم.

فقال الرجل: أيُّها الأمير، إذا سامحوك غصباً عنهم فإن ذلك لا يكون مسامحة وإنما يكون ظلماً على ظلم.

فقال الحجاج: أجعلهم يسامحوني بغير القوة، اجعل رجلاً ينادي في الناس قائلاً مثلاً: أيُّها الناس إن أميركم الحجاج نادم على ما فعل فيكم من الظلم والقسوة وانه وهو على سرير المرض يريد منك أن تسامحوه.

فقال الرجل: إيَّاك أن تفعل هذا أيّها الأمير.

فسأله الحجاج: لماذا؟

فأجاب الرجل: أنك إن فعلت ذلك علم الناس أنك مريض وأن مرضك مخوف، وأنك لا تضرهم إذا أردت فأخذوا يدعون عليك بدلاً من أن يسامحوك، وقد يتمردون عليك وأنت في حاجة إلى أن تخرج من الدنيا عزيزاً قوياً كنا كنت فيها.

فاقتنع الحجاج بفكرته وصرفه.

ولكنه أخذ يفكر في الطريقة التي يجعل بها الناس يسامحونه رغماً عنهم على أن يكون ذلك بعد موته.

ورغم ما هو فيه من المرض فقد شغله هذا الأمر عن أي شيء آخر لأنه كان يخشى من العقاب في الآخرة إذا لم يسامحه الناس.

وأخيراً بعد التدبر والتفكير وجد الحل ونفذه فوراً نادى ولده الذي سيتولى الحكم من بعده وقال له:

يا ولدي، تعلم أنني مريض وأنني أعتقد أن هذا المرض سيكون فيه نهايتي فأنا أعرف الأمراض وأعرف نفسي، وأعلم أنني ما وصلت إلى هذا الأمر وما ضبطت الحكم إلاّ بالقوة والشدة لأن الناس لا ينفع فيهم اللين والتساهل، ولا ينفع فيهم إلا القوة والخوف وقد جربت ذلك بنفسي، وأنت تعرف أنني مجرب والمجرب أحكم من الطبيب.

يا بني، إنك سوف تلي الحكم من بعدي، وإن الناس قد يستخفون بك ولا يطيعون أمرك إلا إذا كنت حازماً قوياً شديداً معهم في أول الأمر لان أول الأمر بالنسبة للحاكم والأمير له ما بعده.

فأسرع الابن يريد أن يتكلم ويقول لوالده: مرني بما شئت يا أبي فأنا طوع أمرك، ولكنه ما أن شعر أن والده يريد أن يتركه يواصل كلامه حتى ترك ذلك.

و قد استمر الحجاج في الكلام في هذا المعنى وبينما هو يتكلم شعر بضيق شديد وحاجة إلى الوقوف للراحة من الكلام فانتهز ولده هذه الفرصة، وقال:

يا أبي ، إنك القدوة المثلى لنا، وإنك الأمير الذي ينبغي أن تدون سيرته في ضبط الأمور وأخذ الهمج والرعاع من الناس بالقوة، فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة إلى غيري فكيف يكون بالنسبة إليّ ؟ .

إنك والدي وأنا أطيعك لهذا السبب، وإنك سلفي وقدوتي في الإمارة وأنا أطيعك لذلك أيضاً، وإنك الأمير صاحب الحكم وهذا أيضاً يوجب الطاعة والانقياد.

فانشرح صدر الحجاج الذي كان قد ضاق بسبب المرض وقال: يا ابني، إذا توليت فخذ الناس بالقوة في أول الأمر ولا تتهاون في ذلك لحظة واحدة، وقد فكرت في الأمر كثيراً فرأيت أن أفضل شيء تفعله أن يكون قبل دفني وما دامت هيبتي في نفوس الناس باقية.

لذلك رأيت أن تفعل ما يلي:

إذا أنا مت فقل للناس: إن والدي كان صريحاً في أقواله وأفعاله في سياسته لا يلف ولا يدور، ولا يعرف إلا القصد في الأمور.

إنه لذلك لا يجوز أن يتلوى الناس في حمله إلى المقبرة يذهبون به مع شارع إلى جهة اليمين ثم مع شارع آخر إلى جهة اليسار ثم مع آخر إلى جهة بين

الجهتين أو غير ذلك لذلك لابد من أن تذهب جنازة والدي إلى القبر رأساً دون لف أو دوران، وكل ما يعترض طريقها يجب أن يزال ويُنحَّى ! .

ثم أنظر إلى أي جدار أو بيت أو أي شيء كان في طريقكم إلى قبري فاهدموه.

إن ذلك يا بني سوف يجعل الناس الذين يعتقدون أنك ستكون رخواً في الحكم و أنهم سوف يلعبون عليك يتراجعون عن ذلك، وينقادون لأمرك، بل لا يفكرون في الخروج عن طاعتك في المستقبل وبخاصة مادمت أنا على وجه الأرض لم أدفن.

فسرَّ الابن بذلك وقال: لك ذلك عليّ يا أبي، وسوف أنفذه.

وعندما فارق أباه وخلا الحجاج لنفسه أخذ يضحك رغم ما هو فيه من المرض ويقول:

الآن وجدت الحيلة التي تجعل الناس يسامحونني غصباً عنهم ولكنني لست الذي غصبتهم لذلك تكون مسامحتهم من قلوبهم سوف يرون أول أفعال ابني الشديدة فينسبون أفعالي أو على الأقل يعرفون أنها رحمة بهم إنهم سوف يقولون:

(الله يحَلِّل الحجاج على ولده) !!! .

الحجاج والأعرابي الشاب:

كان الحجاج بن يوسف ظلوماً غشوماً يقتل الإنسان لأدنى سبب حتى ولو كان سبباً ضعيفاً لا يوجب عقاباً قليلاً.

و ذات مرة كان سائرا في الصحراء ليس معه إلا بعض رجاله المقربين وكان قد اشتهى أن يجد أحداً يقتله ولكنه لم (يوفق) في ذلك اليوم إلى قتل أحد.

و مع أن الحجاج كان ظالماً فإنه لا يقتل أحداً إلاّ بعد أن يقيم عليه الحجة في القتل، وهي حجة يكون الحجاج فيها هو الخصم والقاضي.

لذلك عندما رأى فتى أعرابياً في ذلك النهار فرح فرحاً شديداً وقال لأصحابه: أحضروه.

فلما حضر الفتى قال الحجاج: سأسألك عن شيء وأريدك أن تخبرني بجوابه فإن لم تخبرني قتلتك.

فسكت الأعرابي لأنه يعلم أنه لا ينفع الحجاج الاعتذار فقال الحجاج:

أخبرني كم عدد نجوم السماء؟

فقال الأعرابي:

كثر عدد شعر حصانك هذا الذي أنت تركبه.

فسأله الحجاج قائلاً:

وماذا يدريك؟ ربما يكون ذلك غير صحيح.

فأجاب الأعرابي:

عدّ النجوم وعد شعر الحصان وان ما صار كثرهن واحد فاقتلني.

فتحير الحجاج وعلم أنه لم يستطع إقامة الحجة عليه.

فتركه وهو يفكر في أمر يمكنه من قتله.

وبعد قليل ذكر الحجاج شيئاً تيقن أنه يستطيع أن يجعله حجة على هذا الأعرابي فيقتله إذا لم يستطع الإجابة عليه.

فقال له: يا أعرابي: أخبرني عن وسط الأرض واعلم أنك إذا لم تفعل أو كان جوابك غلطاً فإنني سأقتلك.

فقال الأعرابي:سوف أفعل وأخبرك: وسط الأرض تحت حافر حصانك هذا الذي أنت راكبه!

فسأله الحجاج: وما يدريني أن ذلك صحيح؟

أجاب الأعرابي: بع واذرع: أي قس الأرض كلها بالباع والذراع وإذا لم يكن كلامي صحيحاً فاقتلني فتحير الحجاج وعلم أنه قد غلبه في هذه المسألة.

لذلك سكت ولم يقل شيئاً ولكنه كان في أشد الغضب على الفتى الذي غلبه وحرمه التلذذ بالقتل في ذلك اليوم.

فقال للأعرابي: يا فتى، أنت رجل ذكي ونبيه ونريدك أن تذهب معنا إلى البلدة حتى تتناول الطعام معنا في قصرنا وتحدثنا بما عندك من الطرائف.

فوافق الفتى لأنه لا يستطيع إلا ذلك.

وسار في موكب الحجاج الذي لحق به بقية جنده ولما كان بعد يومين كان الحجاج في المجلس وكان حافلا بالناس، وهو مجلس فاخر فيه من الفرش النفيسة والتحف ما بهر عقل ذلك الأعرابي، وقد كان هذا الانبهار في عقله

ظاهراً حتى إن الحجاج لا حظ ذلك، فأراد أن ينتقم منه فيلقى عليه سؤالاً محرجاً من جنس الأسئلة السابقة فيكون جوابه مسكتاً.

والحجاج مع أنه ظالم فإنه يعترف أحياناً بالحق لمن يغلبه بالحجة والمنطق، فسكت واضمر في نفسه الكيد للأعرابي:

وفي هذه الأثناء أحس الأعرابي أنه بحاجة إلى أن يتنخم فيرمى بالتفالة، ولم يكن الأعراب يعرفون في ذلك الوقت استعمال مناديل الجيب بطبيعة الحال وإنما كانوا يرمون بكل شئ في الصحراء الواسعة التي يعيشون فيها، فخشي أن يتفل في هذا المجلس الأنيق المفروش بالفراش الغالي فيتخذ الحجاج من ذلك حجة لقتله.

فهداه ذؤكاه إلى أن يسأل الحجاج عن المكان الذي يتفل فيه الحجاج ومن يكونون في مجلسه في العادة حتى يفعل مثلهم لأنه لا يعرف ذلك فقال للحجاج: أيُّها الأمير، إنني أريد أن أتفل ، وإنني لا أرى في مجلسك هذا مكاناً يرمى فيه ما يخرجه المرء من فمه فأخبرني في أي مكان يكون ذلك؟

فقال الحجاج: إتفل في أقبح موضع من هذا المجلس، ولم يكن في المجلس مكان يعتبر قبيحاً في نظر الأعرابي وفي نظر الحاضرين فأجال بصره في المكان، ثم جمع نفسه ونفخ فمه المملوء بالنخامة ودفعها بقوة إلى عين الحجاج العوراء، وقال وهو يفعل ذلك:

و الله يا الأمير ما رأيت في هذا المكان أقبح من عينك هذه !

قالوا ولم يصنع الحجاج له شيئاً لأنه بالفعل يعلم أن أقبح موضع في ذلك المجلس هو عينه العوراء !!!.

لغويات

في الكنى العامية:

أبـو موسـى : كنية الجوع.

أم عـابس : النار.

أم حبـين : نوع من السحالي البرية.

أبـو جعـل : الجُعل.

أم خطـوط : لعبة من لعب الصبيان.

أم خَنُّـور : مدينة البصرة.

أبـو طويلـة : الأفعى.

أبو سبع وسبعين رجل: دودة طويلة تظهر في الربيع.

أم العيـال : الجصة: (وعاء خزن التمر).

أبـو دحـامس : الليل.

أم ليْلـة : الغنم لأنه يؤثر فيها الجوع ليلة واحدة.

أم الخـون : الدنيا.

أبـو عـسيب : النجم المُذنب.

أم سـويد : طائر صغير أسود الذيل أكبر من العصفور قليلاً.

أبـا ذنبـين : حشرة تشبه الزنبور إلا أنها لا تطير.

أم ذيـل : مرض من أمراض العيون.

أبـو ركـب : مرض يصيب ركبتي الإنسان.

أم الشحَمْ	:	اليد اليمنى.
أبو رابض	:	الضباب.
أبو راشد	:	المصران الغليظ.
أبو حليمه	:	نوع من الجنادب.
أبو غار	:	لمن قلعت عينه كلها.
أبو لحية	:	لكبير اللحية.
أبو خشم	:	لكبير الأنف.
أبو عِصْ	:	للنحيل جدا.
أبو بطن	:	لعظيم البطن مع بروز.
أبو قَبَّاس	:	كنية نوع من الفراش الذي تجذبه النار في الليل.
أبو مطيع	:	البقشيش.
أم جنيب	:	نوع من الحيّات.
أم سالم	:	عصفور بري.
أبا لحصين	:	الثعلب.
أبا الطحل	:	الصغير من فراخ العصافير.
أبو قطيفة	:	دودة جلدها سميك عليه زغب ملون تظهر في الربيع.
أبو حمزه	:	للشحيح بالطعام.
أبو قلبين	:	للصغير الذكي.
أبو شرّين	:	لكثير الشر.

أبـــو ذنبـــين : لكبيرة العجيزة.
أبـــو شـــظاف : لكبير الثنايا من الإسنان.
إبـــا دمغـــة : داء يصيب الرأس من ضربة الشمس في الصيف.
أبـــو شـــارب : كبير الشارب.
أبـــو زرّ : من نتأ وسط عينه وأبيض بسبب المرض.
أم عَـــوْف : البقره.
إبـــا زمـــير : الحمار.
أبـــو شـــهاب : الضَبّ.

قصص وحكايات

قصص العجم والدراويش

خُرْما ما يأكل:

كان الدراويش يحجون في السابق مشياً على الأقدام إذا كانوا لا يستطيعون دفع الكراء أو يحتسبون الأجر بذلك فكانوا يحلون ضيوفاً على أهل القرى والبوادي وهو أفراد متفرقون.

ومرة صادف درويش يمشي على رجليه جماعة من البدو وكان الوقت أول الليل أي وقت طعام العشاء ولم يكن عند البدو ما يقدمونه لضيفهم الدرويش إلا التمر فلما قدموه له قال: (خرما ما يأكل) والتمر يسميه الدراويش (خرما) فقالوا له : ما عندنا غيره.

فقال لهم: (خرما ما يأكل).

فسألوه : عما يشتهي أن يأكله؟

فقال: لحم يأكل؟

فضحكوا منه وقالوا له: اللحم ما يوجد عندنا، اللحم عند الحضر اللي عندهم مجزرة يشرونه منها..

فقال لهم: (الله كريم يا بدوي).

فقالوا له: أنت درويش مهبول، تعش وإلا مت من الجوع !

فكان جوابه لهم لم يتغير: (الله كريم يا بدوي).

فسخروا منه وتركوه.

وبعد قليل لم يشعر البدو إلا بالركائب تناخ أمام بيوتهم وإذا عليها شيخ لقبيلة من كبار القبائل فأسرعوا يذبحون الذبائح ويوقدون عليها النيران.

ولم يكن إلا بمقدار ما نضج اللحم حتى أفرغوه في الأواني الكبيرة وقالوا لضيوفهم: تفضلوا على العشاء، سموا بالله، وكان الدرويش من بين الآكلين.

فجعل صاحب بيت الشَّعَر ينظر إليه ويبتسم يذكر ما كان منه ولكن الدرويش لم يزد على قوله وهو يلتهم اللحم: (**الله كريم يا بدوي**) .

شجاعة:

خرج ثلاثة وثلاثون درويشاً إلى الصحراء البعيدة ولم يكن معهم من الاستعداد اللازم لها شئ ولا كانوا يعرفون كيفية ذلك فأغار عليهم ذئب وأكل منهم ثلاثة أشخاص قبل أن يستطيعوا رده ولا صده، ألا أنهم فرحوا فرحاً عظيماً لكونه اقتصر على أكل الثلاثة فقط، بل عدُّوا ذلك شجاعة منهم حين قتلوه بعد أن أكل منهم ثلاثة فكانوا يفتخرون وينشدون فرحين:

(حِنَّ سلاسه مع سلاسين زبحنا زيب والزيب أكل منا سلاسه)

أي: نحن ثلاثة وثلاثون رجلاً قتلنا ذئباً ولم يأكل منا إلا ثلاثة رجال!.

كل ولا تخرب:

خرج أعجمي سمينٌ إلى الصحراء فصادفه ذئب فلم يعرف كيف يقاتله فانبطح على وجهه وقال مخاطباً الذئب بصوتٍ مرتفع: (كل ولا تخرب) يقول ذلك وهو يشير إلى مقعدته .. يريد أنه بإمكانك أن تشبع من هذا الموضع دون مقاومة مني.

أما تخريب الجسم مثل أن تأكل يداً أو رجلا فهذا شيء لا ينبغي منك.

كله كذب بكذب:

كان أناس من البدو مسافرين في الصحراء وكان الوقت صباحاً وكان معهم بعض العجم فلم يشعروا إلا بأحد العجم الذين كانوا معهم يحمل قربة كبيرة ممتلئة ولما كانوا يعلمون من حاله أنه كسول فاتر النشاط تعجبوا من حمله القربة المليئة فأسرعوا إليه يستطلعون الأمر، وإذا به يلوذ في ظل شجرة ويفتح فم القربة ويطلقها فوق رأسه حتى فرغت، ولم يروا ماء في الأرض فتعجبوا من ذلك حتى أقبل إليهم فسألوه:

ماذا كنت تفعل؟ وأين الماء الذي في القربة؟

فقال: أنا البارحة رأيت كأني نائم مع زوجتي التي تقيم في بلاد العجم فلما انتبهت فرغت القربة من الماء ونفختها هواء، وفتحت الهواء فوق رأسي حتى سال على جميع جسمي!.

فقالوا له: لماذا؟

فأجاب: علشان الجنابة!

فقالوا: الجنابة تحتاج إلى ماء .

فقال: الدنيا برد، وأنا البارحة زوجتي ما نامت معي صحيح لذلك أنا ما اغتسلت صحيح (**كله كذب بكذب**)! .

عجمي مأخوذة خبزته:

العجـم أكثـر أكلهـم الخبـز وأهـل نجـد مـا كـان الخبـز يبـاع عنـدهم لـذلك إذا جاءهم العجم في طريقهم إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة لم يجدوا عندهم خبزاً .

وكان أحد العجم يشتهي خبزه فراح في أول الأمر (يشحذ) القمح يجمع من البيوت (شوي شوي) ثم بعد ذلك ذهب إلى أهل دار وطلب منهم أنهم يسمحون له بطحن القمح لأنه ما كان هناك طاحونة، تطحن القمح بالأجرة، فطحنه بنفسه في الرحى اليدوية، ثم تحيل حتى جمع حطباً كثيراً، وبعد ذلك خبز خبزته، وكان أحد الأشقياء يراقبه، فلما نضجت وأخرجها من النار، وجعل يقلبها بين يديه لتبرد أسرع ذلك الشقي ونهبها منه وفرَّ هارباً.

فطار عقل الأعجمي وأخذ يركض في كل اتجاه وهو يصرخ بلغته بكلمات غير مفهومه، وقد نسي في هول المفاجأة ما كان قد تعلمه من كلمات عربية معدودة فلم يدر الناس ما به، وإنما تجمعوا حوله يظنون أنه مجنون.حتى حضر رجل يعرف لغته استطاع أن يعرف ما أصابه فالتفت إلى الحاضرين وقال لهم:

كل واحد ينصرف إلى شغله: (**عجمي مأخوذة خبزته**).

هدهد همامه:

عندما جاء عساكر الترك إلى بعض القرى في البادية وأقاموا بها لم يكن يوجد في بعضها من اللحم إلا لحم الإبل الذي لا يحبه العجم وأحياناً لا يوجد حتى لحم الإبل:

و لم يكن الناس في ذلك الوقت يبيعون الطيور التي تؤكل مثل الحمام ونحوها.

فجعل بعض السفهاء الذين لا يخافون الله يصيدون الهدهد الطائر المعروف بأنه يأكل القاذورات، وينتفون ريشه، ويذهبون إلى العسكر يقولون لهم: إنه حمام سمين، فكان العسكر يأكلونه ولا يفرقون بينه وبين الحمام.

فجاء إليهم أحد أهل الخير من المتدينين وقال لهم: هذا حرام لأنه هدهد ما هو حمامة هذا ما يجوز أكله.

فأجاب أحدهم: هدهد همامة، وقالوا أحد الحاضرين من العرب

(عسكر قشّاش: هدهد همامه)!.

أكْل دراويش كلٍ لحاله:

من عادة أهل نجد أن يأكلوا طعامهم مجتمعين سواء كان الطعام كثيراً أو قليلاً، وكانوا يعجبون من الدراويش الذين كانوا إذا طبخوا طعاماً جاء كل واحد منهم بماعونه الخاص فأعطوه نصيبه من الطعام سواء كان قليلاً أو كثيراً أي يقسمونه بينهم بالسوية فيأكل كل واحد منهم طعامه وحده ولو كانوا مجلس واحد.

ومرة كان أحد الأعراب مجتمعاً مع قومه على طعام قليل وكان الوقت وقت مسغبة وشح الطعام وكان هو لا يستطيع الإسراع في الأكل فكان أصحابه يأكلون أكثر منه، حتى مسّه الجوع ، فقال:

يا جماعة أنا أبيكم تسوون مثل الدراويش كل و احد يأكل بماعونه فتضاحكوا منه وقالوا : ما يأكل أكل الدراويش إلا درويش، ما سمعت اللي يقول: (**كل أكل الجمال، وقم مع أول الرجال**).

عباة درويش:

يأتي الدرويش للحج و هو فقير، لذلك إذا كان عليه ثياب فإنها إذا أصبحت خلقاناً لا يستطيع شراء غيرها.

وعباءته التي لا بد منها في جو الصحراء القاسي لابد إذا لم تكن قديمة بالية من أن يحصل لها شق أو خرق من الشجر والحجارة أو من نومه فيها. فإذا صارت كذلك رقعها بما تيسر له من خرق تكون تارة حمراء وتارة بيضاء وتارة سوداء ، حتى تصبح الرقع فيها ملونة لأنها متجمعة من سائر الأماكن.

لذلك يقولون للذين يتجمعون من كل جنس من الناس (مثل عباة الدرويش):

وكان أحد التجار من الدراويش رجلاً غنياً في بلاده أراد أن يحج ماشياً مظهراً احتساب الأجر عند الله تعالى والصبر على المشقة وهو يريد أن يحج ويشتري تجارة من مكة يذهب بها إلى بلاده من طريق البحر.

ولم يكن يستطيع أن يخرج بأمواله أو حتى يلبس ملابس جيدة لأن الأعراب لن يتركوا معه شيئاً بل سيسرقونه فأخذ عباءة قديمة، ورقعها بعدة رقع من ألوان كثيرة مختلفة، كما تكون عليه عباءات الدراويش قبله، ولكنه جعل في داخلها دنانير من الذهب لحاجة تجارته، وكان إذا وصل بلداً أو قرية

أقام في المسجد، وجعل يسأل أهل الخير كما يفعل الفقراء من أجل أن يبعد الشكوك عن المال الذي في عباءته.

ولكنه مرض في إحدى القرى فكان يحتاج إلى ماء الشرب ولا يستطيع أن يتجول بسبب مرضه فكان يطرق باباً قرب المسجد فتخرج إليه عجوز في البيت تسمى (أم مسعود) فتسقيه الماء البارد، وكانت وحدها في البيت فعطفت عليه وأخذت تأتي إليه وهو في المسجد بالطعام الحار في بعض الأحيان وتتحدث معه.

وقد أشتد به المرض حتى اشرف على الموت، وكان يقول للعجوز: (يا أم مسعود: كم ساع يسعى لقعود) ولم تكن تعرف ما يقصده من ذلك حتى تيقن أن منيته قد دنت فقال لها: إذا مت ودفنتموني احرصي على عباءتي هذه وأبقيها عندك سبعة أيام فإذا مضت الأيام السبعة انقضي جميع الخياطة التي فيها وادعي لي حتى يأتيني دعاءك في قبري .

(يا أم مسعود كم ساعي يسعى لقعود) ثم فاضت روحه فلما كان في اليوم السابع فتحت العجوز الرقع التي في العباءة فوجدت الذهب الرنّان، وفهمت قول الدرويش: (**يا أم مسعود ، كم ساعي يسعى لقعود**) ! .

يجي قيز:

كان جماعة من الدراويش في الصحراء مسافرين في وقت الشتاء وكان البرد شديداً جداً، ولم يكونوا يعرفون كيف يكافحونه كما يفعل الأعراب الذين قد يحفر الواحد منهم حفرة يدفن فيها نفسه عن البرد، ويحتطبون الحطب الكبير.

و لما أشتد البرد في ليلة من الليالي في وقت السحر قال أحدهم لأصحابه:

يجي قيز عقب هاالبرد؟

يعنى: هل يأتي قيظ أي حر شديد بعد هذا البرد؟

فأجابه أصحابه بقولهم:

يجي لكن زعيف.

أي: لابد أن يأتي حر ولكنه سيكون ضعيفاً لأن هذا البرد الذي جاء في الشتاء يكون قد أضعفه.

كيري ميرى ما يعرف:

استأجر جماعة من العجم بعض الجمّالين العرب ليوصلوهم إلى بلد معين غير بعيد من مكان إقامته فلما كانوا في منتصف الطريق باعوا أحد الجمال التي كانت معهم وذكروا للذي كان يركبه أن عليه أن يركب مع أحد أصحابه وكان رجل منهم يعرف كلمات من العربية فقال لأصحابه: يخبرهم بما حصل: خيقي بيقي.

يعني الجمل سرق.

فقال له أصحابه: قل لهم خذوا جملاً بالكراء بدلاً منه فلم يعرف ذلك بالعربية فسأل الأشخاص عن الكلمات التي تؤدي ذلك المعنى.

فقال له: كار مار، وتعني الكراء من أحد المارة.

ولكن الأعجمي لم يفهم ذلك تماماً وإنما أخذ يقول للجمالين (كيري ميرى، كيري ميري) ويردد ذلك بانفعال يظن أنه هو الذي يؤدي بالمعنى بالعربية، فيرد عليه الجمالون (كيري ميري ما يعرف). فيصرخ لهم (كيري ميري) فيصرخون: (**كيري ميري ما يعرف**).

أدب عــامــي

كلمات عامية لها معنى بعيد:

ابـن حـلال	:	إذا كان لا يأخذ حقه من الناس.
مـن أهـل الجنـة	:	يعنى أنه مغفل.
زند البواردي	:	للذي يعتمد عليه.
عدّ أخيك وعد عشرة	:	للذي يأكل كثيراً.
ولـد مـرة	:	يعني تربيته تربية رخوة.
ولـد رجـل	:	للشهم القوي.
ولـد بَـرّ	:	للذي يخدم قومه في السفر.
حطَّه على يمناك	:	يعنى اعتمد عليه.
حطَّه بالـذراع الأيسر	:	يعنى اتركه وأهمله.
حطَّـه وراء ظهـره	:	كذلك.
حطَّ الله بين عيونـك	:	يعني خف الله.
تحـزم بي	:	يعني اعتمد عليّ.
عـصا مكـاسر	:	الذي يحب المخاصمة.
بـالُود مـسقَى	:	القوى في الحرب.
كـسرة جـذمار	:	للقصر.
حـزم كـلاّب	:	للشدة.

فركة كعب	:	للقرب.
طق كعب	:	للمشى الكثير.
طيّ ضلوع	:	للجوع.
فلان رخمه	:	للجبان الرخو.
فلان خروعه	:	للذي لا يصبر على التعب.
فلان بهيمة	:	للذي لا يفهم.
دواجعه	:	للذي لايضر ولا ينفع.
طير عشا	:	لمن لا نفع منه.
سيف بدوى	:	للذي مخبره أحسن من مظهره.
ذراعه كيس	:	للذي يكسب كثيراً.
قليب الذيب	:	الذكي.
حميت حصاته	:	للغضبان.
حل حارك يبرد	:	لإرغام الشخص على الانتظار.
بنات ورقان	:	للأخبار غير الصحيحة.
نصفه شوي	:	كذلك.

قصص وحكايات

قصص النساء



ابن شمسي والمرأة الذكية:

كان أمير يقال له ابن شمسي مشهوراً بالغزو والإغارة على جيرانه ومن حوله من الناس فكان على عادة أهل نجد في عهود الفوضى والاضطراب وانتشار الفتن يغير على الناس ويأخذ مواشيهم وكان في بلاد مجاورة لبلاده أمير لهُ ابنة ذكية.

وفي يوم من الأيام كان أبناؤه الذكور كلهم مشغولين في فلاحة أو نحوها فقال الأمير لابنته: اسرحي بالإبل اليوم وإذا جاءك ابن شمسي أو غيره فصوتي لنا وسنكون مستعدين لنجدتك، قولي كما يقول الناس: عوك عوك.

وهكذا سرحت بالإبل، وما أسرع أن جاء ابن شمسي ومعه قوم من جماعته غير كثيرين وقصدوا الإبل لينهبوها لا سيما بعد أن عرفوا أنه ليس معها إلّا تلك الفتاة ولكنها حينما تحققت منهم أخذت تغني وترفع صوتها بعض الشئ بالغناء فقال لها ابن شمسي كالمتعجب من ذلك:

ماذا كنت تقولين في غنائك أيُّتها الفتاة؟

فقالت له: أتحب أن تسمعه؟

قال نعم: ومن يكره أن يسمع صوت فتاة مثلك وهي تغني لا سيما أنها تتغزل به وحده وتذكر اسمه دون غيره وكان بينه وبينها مسافة بحيث لا يسمعها إلا إذا رفعت صوتها بالغناء وقد فعل ذلك احتراماً لابنة ذلك

الأمير التي لا يجوز أن يقترب منها شخص غريب لا تربطه بها رابطة حتى ولو كان الأمير ابن شمسي قالت إنني أغني وأقول:

أمشي وأمنِّي نفسي وأقول الليلة عرسي

على الأمير ابن شمسي وإلى خمّنْ أقول: عوك

وأخذت تردد هذا الغناء بصوت جميل طرب له ابن شمسي ومن معه لا سيما وهي إذا وصلت الكلمة الأخيرة قالت: عوك ترفع بها صوتها وتمده.

وكلمة (عوك) هي التي أوصاها أهلها بأن تقولها ، وهي حكاية صوت الصباح طلباً للنجدة.

سمعها أهلها فأسرعوا لنجدتها، وكانوا مستعدين لذلك أكثر من جماعة ابن شمسي فوصلوها وخلصوا الإبل من ابن شمسي وجماعته الذي هرب بعد أن عرف أن هذه الفتاة قد مكرت به وضحكت عليه، وخلصت الإبل منه، وجعلته في نظر الذين رافقوه أو سمعوا قصته حقيراً ضعيف الرأي فصمم على الانتقام منها ولكن بطريقة أخرى:

ذهب إلى والدها الأمير وقال له: جئت خاطباً فلانة منك، وأنت تعرف أني كفء لها فهي بنت أمير وأنا أمير وإذا زوجتني منها صرنا أصدقاء، وزال ما بين قومنا وقومك من العداء.

فوافق والد الفتاة على ذلك، وقال له: أبرك الساعات (لو هي ذبيحة ما عشتك) وبارك الله بالبنت اللي تقربنا منك.

وعندما أعطاه موافقته المبدئية أخبر ابنته ، فقالت له:

يا والدي أنا لا أخرج عن طاعتك ولكن الرجل يريد أن ينتقم مني وقد يعاقبني على شيء لم أفعله لأنني خدعته وخلصت الإبل بعد أن كان قد ضمن أنه أخذها.

فقال لها: ما العمل إذاً وقد أعطيته الموافقة؟

فقالت: أنت على موافقتك يا والدي لكن إذا جاء عقد الزواج اشترط عليه أنه ما يعاقبني ولا يؤذيني إلّا إذا أني عصيت أمره أو ما نفذت له (طلب) .

ففعل ذلك، وقد استعد ابن شمسي بالموافقة عليه ولكنه ما يزال يضمر الانتقام وظن أن هذا الشرط لا يخلصها من انتقامه.

وقد أقام والدها عرساً عظيماً ودعا إليه وجوه الناس في البلدين المجاورين، وظل الفقراء يأكلون من الموائد التي ضمت الجريش ولحم الإبل مدة ثلاثة أيام إذ كانت الولائم تقام كل يوم من الأيام الثلاثة.

و عندما حان وقت رحيلها إلى قصر زوجها في بلاده وتبعد مسيرة ثلاثة أيام من قصر والدها جهزتها أمها بكل ما تحتاج إليه ثم أعطتها حمل ثلاثة جمال استعداداً إضافيا فيه أشياء لا تكاد تخطر بالبال.

وذلك حتى تنفعها إن احتاج طلب زوجها إلى شيء غير مألوف.

وغادروا بلاد العروس صباحاً وساروا يومهم كله فلما كان في الليل أرادوا النوم ونزلوا قرب بيت نملة فقال لها زوجها ابن شمسي: اسمعي يا مرأة

افرشي لي فراش النوم فوق بيت هذه النملة وترى إن عضتني منها نملة واحدة ذبحتك.

و لم يكن بوسعها إلّا أن تستجيب لطلبه لأنها تكون حينئذ قد استحقت أن يعاقبها على عصيانها له حسب الشرط الذي بينه وبين والدها.

فقالت: سمعاً وطاعة، ثم أحضرت كيسين كبيرين مليئين بالقمح والبُرّ ونثرتها في الأرض حول بيت النمل فانصرف النمل كله إلى ذلك القمح ينقله إلى داخل الأرض ويخزنه فيها وفرشت فراش نومه كما قال على بيت النمل الذي كان كبيراً فكان النمل كله مشغولاً بالقمح فلم تعضه منها نملة واحدة.

فلما أصبح وعرف أن حيلته عليها قد بطلت أضمر شيئاً أعظم من ذلك إذ عندما نزلوا ليلاً في اليوم الثاني قال لها انظري هذا البعير أذبحيه واطبخي لنا من لحمه في عشانا وتراي محتاج لجلد مدبوغ ابيه يصير راوية لكن ادبغي جلده وأعطيتني إيَّاه الليلة وإلّا فأنا أعاقبك.

فنادت الرجال الذين كانوا معها من جهته ومن جهتها فذبحوا البعير بسرعة وأمرتهم فأوقدوا الحطب الجزل تحت القدور، ولم يكن إلّا قليل من الوقت حتى كان اللحم قد نضج، وكان الجميع يأكلون عشاءهم وعليه اللحم الحار.

و كانت والدتها قد وضعت لها فيما وضعت في الأحمال الإضافية جلد بعير مدبوغ فأحضرته إليه بعد أن انتهى من العشاء وقالت: هذا جلد البعير المدبوغ الذي طلبته!

فعرف أيضاً أنها قد غلبته، وسكت على غيظ وحَنَق.

وعندما نزلوا في مساء اليوم الثالث من أيام السفر وكان اليوم الأخير رأى شجرة من شجر العوسج المشهور بكثرة الشوك وخشونته. فقال لها:

اسمعي يا امرأة افرشي لي الليلة فراشي على هالعوشرة والله إن كان شوكة واحدة لمستني منها إني لا عاقبك.

وكان فيما أعطته أمها كوابين يعني مرزبّات كبيرة من الخشب فأخذت هي وجارتيها يتعاونان على ضرب شجرة العوسج بهذه المرزبات مع كل واحدة مرزبة حتى تكسر كل الشوك الذي في الشجرة دون أن تنكسر الشجرة نفسها ففرشت فراشه على الشجرة ونام قرير العين دون أن تصيبه منها شوكة واحدة.

وهكذا بطلت حيله عليها حتى وصلوا إلى بلده.

فاستقبله الناس وهم يهنّونه بذلك الزواج الذي كان متكافأً إلا أنه لا يزال حنقاً على تلك المرأة، ولم يجد سبيلا لمعاقبتها.

وقد فعل بعد ذلك عدة أفعال كلها تستطيع أن تتلافاها وتفسد حيلته.

فقرر أن يهجرها وألاّ ينام معها من شدة غضبه وبعد أن آيس من أن يغلبها بالحيلة.

أفرد لها جناحاً في قصره وتركها بل أهملها وكأنها غير موجودة وكانت أمها قد أعطتها مقصاً من الذهب ومنظرة أي مرآة من الذهب ولم يكن ذلك مألوفاً في ذلك الزمان في تلك البلاد.

ومرة كانت زوجة الأمير ابن شمسي الأولى تزورها في جناحها في القصر إذ رأت المقص الذهبي وكانت قد تعمدت أن تجعل زوجة ابن شمسي الأولى تراه فلما رأته طلبت أن تبيعها إيَّاه فامتنعت وطلبت أن تعيرها إيَّاه فامتنعت كذلك.

وبعد مروادة ومداولة قالت الزوجة المهجورة للزوجة الأولى التي ينام عندها ابن شمسي أنا ما أبيعه إلا بشيء رخيص عندك.

فسألتها: و ما هو ذلك الشيء؟

فأجابت: ليلة من لياليك!

قالت: وكيف يكون ذلك؟

قالت : أنا زوجة الأمير مثلك لكنه هاجرني خليني أنام بدلاً منك بالفراش ليلة واحدة حتي ينام معي الأمير وأعطيك المقص الذهبي.

فوافقت على ذلك لأن ذلك ليس بالثمن الصعب لهذا المقص الثمين.

وهكذا نامت مع زوجها الأمير في فراشه لأول مرة منذ وصلت إلى بلدته دون أن يتعرف عليها.

وقد قدر الله أن تحمل من تلك الليلة ، ولم يكن معها في جناحها في القصر إلا جارية لها مخلصة فأمرتها بأن تكتم حملها إلى أن وضعت صبياً جميل الشكل لطيف المنظر.

فلما انقضى وقت النفاس ومضت مدة كافية عاد فيها جسمها بعد الولادة إلى حالته الطبيعية.

دعت ضرتها الزوجة الأولى إلى بيتها وتعمدت أن تجعلها ترى المرآة الذهبية فسألتها: ما هذا ؟

فأجابت: أنها مرآة ذهبية لا يصلح للمقص الذهبي غيرها.

فقررت المرأتان ما فعلتاه في المرة الماضية حول المقص الذهبي واتفقتا على أن تعطيها المرآة الذهبية في مقابل أن تتنازل لها عن مبيت ليلة مع الأمير ففعلت . و قدر أن تحمل هذه المرة في تلك الليلة كما حملت في المرة الأولى.

و كان الحمل أيضاً ولداً ذكراً جميلاً شديد الشبه بأبيه وكتمت أمرها في المرة الثانية كما فعلت في المرة الأولى.

و عندما قارب الولدان أن يصبحا مميزين أحدهما في سنة السادسة والآخر في سن الخامسة. زينتهما أمهما بلباس فاخر، ونظفتهما حتى أصبح من يراهما لا يشك في أنهما من أولاد الأمراء.

وآمرتهما أن يحضرا مجلس الأمير ابن شمسي وقالت لأحدهما: إذا سألك الأمير: من أنت ولدله فقل له: أنا ولد المقص.

وقالت للآخر:إذا سألك الأمير من أنت ولده؟ فقل له : أنا ولد المنظرة !.

و هكذا جلسا في المجلس وكان الجميع يرونهما لأول مرة وكان شكلهما ومظهرهما ملفتاً للنظر فكان أن استدعاهما الأمير وقد عرف ملامحهما التي تشبه ملامح أسرته.

وسأل الأكبر: من أنت ولده أيُّها الطفل الجميل؟

فأجاب: أنا ولد المقص!

فقال: المقص ؟

وما اسمه ؟

فأجاب الطفل : اسمه المقص؟

وكرر عليه الكلام فلم يزده على ذلك.

فانتقل إلى سؤال الولد الآخر قائلاً:

من هو أبوك أيُّها الطفل الجميل؟

فأجاب: أنا ولد المنظرة؟

فقال الأمير: المنظرة؟

أي منظرة يا بُنيَّ؟

فقال : المنظرة؟

وزادت حيرة الأمير، وعندما ترك مجلسه كان الطفلان يخرجان إلى حيث أخذتهما الجارية إلى أمهما.

و في المساء كان لا يزال الأمير ابن شمسي مفكراً في أمرهما فقال لزوجته عندما آوى إلى فراشه ليلاً:

لقد حدث أمر غريب هذا اليوم، رأيت طفلين جميلين يشبهان أولادنا نحن آل شمسي ولا أعرفهما وعندما سألتهما أجاب أحدهما بأنه ابن المقص وأجاب الآخر بأنه ابن المنظرة.

فظهرت من زوجته على الرغم منها ضحكة لم تستطع أن تكتمها وقالت: هذا غريب لا أدري عنه.

فقال لها: انه لواضح من ضحكتك ومن تعبيرات وجهك انك تعرفين جلية الأمر، فأخبرته بالقصة وقالت:

أيُّها الأمير، إنهما ولداك أحدهما في الليلة التي بعتها بمقص ذهبي، والآخر في الليلة التي بعتها بمنظرة ذهبية.

ففرح بذلك فرحاً شديداً لأن الطفلين جميلان وهما من امرأة والدها الأمير.ثم التفت إلى زوجته بعد أن أخبرته بقليل وقال لها:

(حِنَّا للّلي يشترينا ما حِنَّا للّلي يبيعنا).

أي نحن لمن اشترانا لا لمن باعنا. اذهبي فأنت طالق، ثم استدعى الزوجة المهجورة بنت ابن شمسى وأم الطفلين فأرضاها وعاش معها في سعادة بحيث لم يتزوج عليها غيرها.

ما جا من خد رمانة،
ضاع في .... مرجانة:

كان لأحد أمراء البلدان في جزيرة العرب زوجة صغيرة السن تسمى رمانة جميلة الوجه، كان حديث عهد بالزواج بها وكان يحبها ويغار عليها من ظلِّها.

وذات يوم لدغتها عقرب مع خدها فأسرعوا يستدعون رجلاً مختصاً بالطب الشعبي ومعالجة لسعة العقرب فلما حضر رآها فأعجبه جمال وجهها، ونضارة خدها.

فقال للأمير: إنه لا دواء للسعة العقرب إلا مصها حتى يمكن سحب السم بذلك من مكان اللسعة، ومنع انتقاله في الجسم.

فلم يوافق الأمير على ذلك وقال له: ابحث عند دواء آخر غير هذا الدواء.

فقال: إنه لا يعرف غيره بل أنه كلما أبطأ البدء به كان ذلك أكثر خطراً وأكثر احتمالاً لسريان السم في الجسم.

فلم يسع الأمير إلاّ الإذعان لا سيما وإن زوجته الصغيرة الحبيبة لديه كانت تئن وتتألم من اللسعة.

فأخذ الرجل يمص السم من خد « رمانة » ويتفل في الأرض وما زال يمص ويمص والأمير يقول له: ألا يكفي هذا؟ لقد أكثرت فيجيبه لا، لا يكفي. إنه كلما كثر المصّ كان أبعد عن التلوث و أخيراً كف الرجل عن ذلك.

وقد شعرت المرأة بالراحة بالفعل وما بها من الألم الشديد قد زال ، إلا أن زوجها الأمير لا يزال في نفسه شيء على ذلك الرجل الذي جعل يمص خد زوجته وهو ينظر.

وبعد أيام قلائل لسعت عقرب عَبْدَةً لهم عجوزاً سوداء في مكان ضيق من الجزء الذي تجلس عليه من جسمها.

فجعلت العبدة تصيح من ألم اللسعة فأسرعوا ينادون ذلك الرجل ليعالجها، وعندما حضر واطلع على حالة العبدة العجوز، وعرف موضع اللدغة من جسمها سأله الأمير عن دوائها؟

فأجاب : إن علاجها سهل هيّن تأتي بقليل من الملح فتسحقه وتخلطه بالتمر ثم تجعله كاللزقة على مكان اللدغة.

فتظاهر الأمير بعدم الاهتمام وسأله قائلاً: وعلى هذا لا يحتاج مكان اللسعة إلى مصّ ؟

فأجاب الرجل المتطبب: أبداً أيُّها الأمير لا تحتاج إلى ذلك، إن التمر والملح فيهما الكفاية وفيهما الشفاء إن شاء الله.

وهنا أظهر الأمر غيظه الذي كان يكتمه، وقال للرجل: لماذا لم تكن تقول هذا عندما لسعت العقرب زوجتي « رمانة » مع خدها ؟

ولماذا قلت آنذاك: إنه لابُد من المصِّ؟

هيا لتفعل بهذه العجوز كما فعلت برمانة، وإلا رميت برأسك على الأرض، لقد أحصيت المرات التي مصّيت فيها خد رمانة فبلغت سبعاً وأربعين مرة وليكن مصك جدياً بحيث تشعر العجوز بالراحة بعده كما فعلت «رمانة» .

وكان الوقت صيفاً والعجوز بدينة وقد مضى عليها زمن طويل لم تغتسل لذلك كان لجسدها رائحة لا تطاق .

فأخذ الرجل يمص ووجهه يكاد يتقطع من التقلص لكراهة ما يعلق بفمه من ذلك وجعل يردد في كل مصة ومصة قوله:

«**ما جاء من خد رمانة ، ضاع في أسفل مرجانة**» يريد أن ما حصل من اللذة من مصِّ خد «رمانة» الجميلة حصل عليه مثله من الألم و التكره من ذلك الموضع من العبدة «مرجانة» !.



كيد النساء :

علق الشاب الوسيم على مدخل متجره لوحة تقول:(إن كيدكن ضعيف) ذلك بأنه وهو التاجر الذي يعرض بضائع للنساء قد جرب من النساء أعداداً وربما كنَّ أفواجاً كلهن كان يغلبهن بقوة شخصيته وجمال مظهره حتى اعتقد أنه لا توجد امرأة تغلبه بقوة الكيد، ولا بفنون الصيد.

ولما لم يكن بإمكانه أن يبلغ جميع النساء ما يضمره لهن من تحدٍ بل من تعد لعدم وجود الصحافة والإعلان في ذلك الزمان، فقد رأى أن إعلان رأيه بتعليق هذه اللافتة على حانوته (دكانه) كافٍ لهذا الأمر شافٍ لما يضمره من فكر.

بل إنه اعتقد أن مجرد وجوده في الدكان كافٍ لإطلاع النسوان على هذا العنوان.وهكذا كان! فقد أطّلع عليه منهن أعداد كثيرة، بل كاد يكون حديث الصغيرة منهن والكبيرة.

حتى انتدبت منهن واحدة هي أجملهن جمالاً، وأكثرهن كمالاً، وربما كانت من أوفرهن مالاً.

فتكفلت لأبناء جنسها من النساء بنقض آرائه، ورده عن أهوائه:

فلما كان يوم من أيام الربيع التي سطعت شمسها، وولى نحسها فاستيقظت فيه العواطف، ودفعت كل لطيف إلى البحث عن ملاطف،

تزينت تلك الغادة الفاتنة، وما كانت بحاجة إلى زينة لأن لها من جمالها المطبوع ما يغني عن كل جمال مصنوع.

ولكن هذه طبيعة بنات حواء لا يقفن في ابتغاء الجمال عند غاية، ولو كن في الجمال آية.

و لم تنس تلك الجميلة أن تتطيب وتتعطر، ثم أقبلت إليه تتبختر، فقالت بصوت كله استعلاء واستحلاء:

كيف حالك أيُّها التاجر الذي أفنى ربيع شبابه وأخلق أديم إهابه، في ابتغاء الدراهم والدنانير، وحساب الدانق و القطمير؟

كيف حالك أيُّها الرجل الذي لو لا خوفي من أن أرمي بالتشنيع والمبالغة لقلت: إنك كالنملة التي تجمع وتجمع، ورغم ذلك فهي لا تقنع ولا تشبع، بل إنها لا تنتفع ولا تنفع فلم يظهر على جسمها في يوم من الأيام السمن والغِنَى، ولم ينل أحد لديها المنى.

فلما سمع كلامها ظن أنه مثل ما مر عليه من بعض الغواني، من ملام هو الدلال قد أخرجته مخرج الأغاني وهو التعبير عن الصدِّ الذي قصد به التوصل إلى الأماني.

فلم يعرها في أول الأمر كبير اهتمام، إلّا أنها عندما حسرت اللثام، أسفر عن وجه كالبدر ليل التمام وقد خرج من الغمام.

ثم رمت إليه بنظرات متلاحقة من عينيها اللتين تفيضان بالسِّحر، وتنضحان بما لا يطاق من السر.

فنفذت نظراتها إلى جناته، حتى لم يستطع كبح جماح لسانه، الذي كان أسرع يكيل عبارات الإطراء، وإن كان قد أعد لها قبل ذلك عبارات أخرى، هي بها أحرى.

فقال: أهلاً وسهلاً بالظبى الغرير، والغصن النضير، والبدر المستدير، مري بما تريدين منى فستجدينني مطيعاً، وأملي ما شئت فلن أكون لك إلاّ مجيباً سميعاً..

وأراد أن يقول شيئاَ غير أنه لاحظ أنها تحفظت، وربما أوحى إليه فعلها أنها قد ندمت على ما بها تلفظت.

إذ أسرعت إلى إسبال خمارها على نهارها، فكان الخمار كالليل الذي غطّى النهار.

وهنا وقفت الكلمات في حلقه، فلم يحر جواباً فلاحظت أنه يطلق عجمة لسانه، ولن يعيد الشجاعة إلى جنانه إلا كلمات تشجيعية، أو ابتسامة ندية، إلا أنها منعها من ذلك ما أضمرته من أمر، وما تدبره في رأسها من فكر.

و مع ذلك سمحت لنفسها أن تريه من يديها إلى ما فوق ساعديها، فرأى منها صفاء الجمار في لون النُّضَار، ثم قربت كلها من فمه حتى شم منه رائحة الأزهار.

عند ذلك انطلق لسانه فقال:: يا ملكة الجمال وربيبة الدلال تقولين : إنني أجمع المال، وهذا صحيح بلا جدال غير أنني أجمعه لأمثالك.. ولا أبخل به

على وصالك، فحركت رأسها بحركة هي مزيج من الإغراء والإباء ففهم منها ما كانت تشاء.

إلّا أنه عندما أقبل عليها بوجهه صَدّتْ وجهها عنه، مولية وقالت: يا هذا: إنني ما جئت إلى (دكانك) للغزل أو الهزل، وإنما جئت لاشتري بضاعة أدفع ثمنها مثل غيري وارجع وقد أرحت ضميري.

فقال هو يتعطف ويتلطف:

خذي ما شئت من البضائع بالسعر الذي تحددينه، فالغبن عندك هو الربح بعينه.

فأظهرت أنها قد انزعجت من كلامه، وأنها لن تستجيب مطلقاً إلى مرامه.

لذلك جمعت ثوبها وهي تنهض تدمدم بذمه على ما صدر من فمه، من كلمات تنم عن الانسياق وراء حُبٍّ غير عفيف وغرضٍ غير شريف.

فغير لهجته من فوره وقال :

يا ملكة الجمال، ويا فريدة الدلال، إنني لا أقصد أمراً سيئاً، وإنما أردت أن أعبر لك عن إعجابي بجمالك، ومحبتي للقرب منك والإطلاع على أحوالك، حتى يكون ذلك سلماً إلى وصالك بطريق مشروع، وفي عرس معلن للجموع، فأرجو المعذرة إذا كنت قد عبرت عن قصدي بما لا ينبغي أن أعرب عنه.

فكان جوابها فعلاً يدل أنها قد سمعت منه، فقبلت عذره، وأمنت مكره.

فقالت: إذاً إلى البيع والشراء، وإيّاك أن تخفض لي من سعرك درهماً وإلا فأنني سوف أدع يومك مظلماً بأن أنادي إليك جيرانك وأفضحك بين

أقرانك لأنني بنت عفيفة ومن أسرة شريفة لا تقبل أن تسمع بناتها الكلمات الجارحة، فكيف بالعبارات الفاضحة.

فأصبح يزيد في اعتذاره وهو يخبرها بحقيقة أسعاره، فاشترت منه مقداراً من السلع دفعت قيمتها نقداً وعداً، ثم انصرفت كما تنصرف المرأة التي لم يدنس سمعها كلام قبيح أو لفظ غير مريح.

فلما فارقته أحسَّ بقلبه يتبعها، وبأذنه تسمعها، بل أحسَّ بالشوق يرفعها فيضعها بين عينيه حتى كاد ينسى نقوده التي بين يديه.

ولم يستطع في ذلك اليوم أن يستمر في افتتاح (دكانه) ولا الاستمرار في شأنه لأنه ليس معه قلب يدبر، ولاعقل يفكر، وإنما سار كلاهما في أثر تلك المليحة وتركاه في حالة قبيحة.

فأغلق دكانه، وهجر مكانه إلا أنه عندما أبعد عنه تذكر أنها ربما تسأل عنه، فعاد سريعاً إليه ولما لبث فيه قليلاً، خيل إليه أنه انتظر طويلاً فأغلق (دكانه) ثم عاد وفتحه، ورجع فأغلقه وذهب إلى بيته والشوق يحرق قلبه، والحب ينهش لبه، في شعور يريده ولا يريده، لا يستطيع أن يعرف أيدعو الله تعالى أن يذهبه عنه أو يزيده منه.

وبعد يومين من هذا العذاب، لم يشعر إلا بحبيبته قد وقفت على رأسه، في صمت كأنما لتستمع إلى وسواسه الذي يختلج في فؤاده، فحيته تحية حيي بها من موت، فقال وهو لا يكاد يعي ما يقول:

يا أَيَّتُها الغانية الجميلة ، لماذا غبت عني كل هذه المدة الطويلة؟

فقالت له: أيكون يومان مدة طويلة وماذا لو لم تخرجني وسيلة إلى السوق إلّا بعد شهر أو شهرين؟

أكنت تزعم ذلك دهراً أو دهرين؟

فأراد أن يتكلم ولكنها زجرته عن الكلام، وقالت: يا هذا لقد أخبرتك أنني لست ممن يصلح أن يوجه إليه ما تقوله فإما أن تبيع علي ما أريد وأنت صامت، وإلّا فأنني سوف أبعد عنك فوراً، وربما لا استطيع ظهوراً في كل هذه السوق الذي تقيم فيه، بل ولا ما يليه.

فخضع لها وذلّ، وقال: صدقت إلا أن خير الكلام ما قلّ ودلّ فأنا أريدك زوجة لي على سنة الله ورسوله فأخبريني من أنت ومن أهلك حتى أذهب إليهم خاطباً، وأخبرهم بكوني لقربهم طالباً :

فأظهرت له السرور والحبور، وقالت: الآن فُهْتَ بالكلام الصحيح، وأبت عن عقل رجيح.

اعلم أن اسمي (جليلة) وأنا من القبيلة التي منها قاضي البلد، بل أنا ابنة قاضي البلد نفسه، ولكنه – سامحه الله – لا يريد أن يزوجني لأنني وحيدة أمي وهي لا تريد أن تسلمني للزوج فتفارقني.

لذلك دأب – هداه الله – على أن يقول لمن يأتيه يخطبني إليه : أتخطب ابنتي جليلة وهي فتاة عليلة بل إنّها مشلولة لا تستطيع التحرك من مكانها، ولا تقوى على السعي في شأنها.

فيذهب الخاطب عند ذلك ويشمئز، وأكون أنا ابنة العزّ التي رأيت جمالها وكمالها ضحية ذلك الحب الزائد من أمي، وضحية مطاوعة والدي على غَمَّي وهَمَّي.

فسألها بلهف وشغف قائلاً:

ما هي الطريقة في الحقيقة للفوز بيدك من والدك القاضي بالتراضي؟

فقالت: الطريقة الصحيحة، أن تقول له : أريد ابنتك زوجة لي ولو كانت قبيحة، بل أريدها ولو كانت مسلولة مشلولة، فالسل والشلل، لا يهمان في سبيل أن تكون ابنة مولانا القاضي لي من الأهل.

ففرح بهذا الحل السهل، وكاد يذهب من فوره غير أنها قاطعته قائلة:

على مَهْل على مَهْل.

إيَّاك إيَّاك أن تقول لوالدي إنك قد رأيتني فضلاً عن أن تقول إنك كلمتني فذلك، سوف يوردني المهالك فضلاً عن أنه سيؤدي بك إلى النكال و أن تزج في السجن في آخر المآل.

و إيَّاك إيَّاك أن تفضي بهذا السر إلى غيره فانه قد يوصله إليه من فوره.

فقال: ثقي أن ذلك لن يكون ، وأن كل شيء يمكنني من أن أتزوج منك يسهل علي ولو كان مالاً يهون.

و لم يكن إلا أن لبس ثيابه، وأصلح إهابه حتى ذهب إلى القاضي وقال له: يا سيدي القاضي أيُّها العادل الذي يذهب منه الخصمان وكل منهما راضي: لقد أتيتك طالباً القرب منك مؤملاً أن تزوجني ابنتك (جليلة).

فقال له القاضي بوجوم وبأسف ظاهر:

و لكنها يا بني عليلة، فهي لا تصلح زوجة لمثلك وإلا فان الكلام في أصلك وفصلك، يغني عنه ما عرف من فعلك وفضلك.

فقاطعه الرجل قائلاً:

ولكنني أقبل بها يا سيدي القاضي على أية حال، فالقصد من الزواج هو نيل الشرف بالقرب من قاضينا المفضال!

فسأله القاضي: أعرفت ابنتي يا بُني؟

فأجاب: لا يا سيدي، ولكنني عرفت من عرفها حق المعرفة، وقد زادني ذلك شغفاً بأن أتقدم إلى مقامكم العالي، بمقالي، ولعل الله أن يكتب لي معها المحبة والإلف، مع أنه كما قلت يكفيني شرف المصاهرة عن المعاشرة.

فطلب منه القاضي مهلة يوم، يشاور خلاله أم البنت وقال لها: إن الرجل عارف بحالها، غير مبال باعتلالها، وإنما قصده من الزواج أن يتشرف بالانتساب إلينا، وهذا أمر ليس فيه غضاضة علينا.

فلما حضر الخاطب لاستنجاز الوعد، قال له القاضي:

لقد وافقت لكن لابُد من تكرار ما قلته لك عنها ففرح الفتى وقال: المهم أن أتزوج منها، فأرسل الفتى لها مهراً عالياً ، وحلياً غالياً وحانت ليلة الزواج فصنعوا لها من الزينة أنواعاً تبعث الابتهاج، واقبل المدعوون أفواجا بعدها أفواج.

حتى إذا زفت إليه وهو يمني النفس بذلك الجسم البَضّ والشباب الغض، فوجئ بأنها قد أحضرت إلى المخدع ، تحملها نساء أربع على بساط من القماش القوي، وإذا بداخله جسم ملتوي.

ففزع وجزع لأن حبيبته في ظنه – قد اعتراها وجع، إلا أنه عرف الحقيقية بعد ذلك فوجد زوجته ابنة القاضي، جُثّة حيّة معطلة الأعضاء، حتى لا تكاد عينها تقوى على الإغضاء.

فلما عرف الحقيقة أدرك أن تلك الفتاة الجميلة ما هي إلا شيطان في ملبس فتّان.

ولم يستطع أن يقترب من هذه الحليلة العليلة فقضى ليله كسيراً حسيراً، ينتظر الفرج حتى يهرب من هذا الحرج.

وعندما عاد إلى فتح حانوته كاسف البال، زريّ الحال إذا بصاحبته الجميلة تأتي فكاد يتعلق بها ويخنقها غير أنها حذرته من أن يصيبها بمكروه ، وإلا فإنها ستصيح صياحاً يجلب عليه السوء من كل الوجوه.

لذلك اضطر إلى أن يخفض صوته وأن يقول على غيظ ومضض: كيف تضيعيني في هذا الموقف الذي لا مخرج منه؟ ألا تخافين الله تعالى في أن أذهبت مالي، وسودت مآلي؟

فقالت له: لأنك تستحق ذلك، لكونك عكست الآية القرآنية الكريمة (إن كيدكن عظيم) فجعلته إن كيدكن ضعيف.

فقال: أشهدي أنني قد أخطأت، وإنني الآن قد ندمت على ما قدمت، ولكن أيكون عقابي على هذه الخطيئة الصغيرة هذه الجريرة الكبيرة ؟

فقالت يا هذا إنني إذا عرفت أنك قد تبت وأنبت ورجعت عن الذنب الذي أذنبت، فأنني سوف أخبرك بخطة تتخلص بها من الورطة.

ففرح حتى كاد يبكي أو هو قد بكى، وقال:

إني تائب إلى الله على يديك، ولكنني معول في الخلاص عليك، فهدأت من روعه، بعد أن أطمأنت إلى طوْعه.

وقالت: إذا كان يوم غد الجمعة فاذهب قبل الصلاة وافرش فراشاً في الشارع الذي يسلكه القاضي إلى المسجد الجامع واجعل على الفراش آلة الفصد والحجامة، ولا تخش الملامة و لا تنس المقص والمرآة، والموسى الذي لا يشك من يراه، بأنك حلاق ابن حلاق، تريد الارتزاق والارتفاق.

حتى إذا مرَّ عليك القاضي مبكراً ذاهباً للجامع، فإنه سيراك ويخشى أن يراك الناس في هذه المجامع فإذا سألك عن السبب الذي جعلك تمتهن هذه المهنة فأجبه بأنها مهنة أبيك وجدك قبل أن تشتغل بالتجارة وأنك بعد هذه الخسارة في المهر مضطراً إلى أن تعود للحلاقة والحجامة شهراً أو بعض شهر، وربما إذا لم تتحسن حالتك المادية..بقيت عليها دهراً أو بعض دهر.

واعلم أنه سوف يكثر عليك من اللوم والتفريع فقل له : يا سيدي القاضي إن الجميع يعرفون أن الحجامة ليست من العمل الحرام، ولاهي إثم من الآثام، فيقول لك إنها عمل وضيع فقل له، هذا صحيح غير أن العمل الرفيع الذي هو أن يشتري ا لمرء ويبيع، قد ضاعت مني أسبابه، وأُغلق عني بابه، إذ جميع رأس مالي قد صرفته في مهر ابنتك، وسيحاول أن يقول: إننا

سنعاونك في محنتك، فقل له: إنني لا أقبل مطلقا التنازل عن صنعة أبي وجدي فهي مصدر حظي وسعدي وهي التي بسبب المال الذي جمعته منها أول الأمر أصبحت لسيدنا القاضي من الصهر فإذا قال لك:

إذاً عليك أن تؤجل هذا العمل أياماً حتى أتفاهم معك، فقل له: يا سيدي إن الحجَّامين لا يقبلون أحلاماً في التعامل و لايعرفون غير النقد الحاصل.

فالمعتقد انه إذا عرف منك أنك مصر على أن تراك الناس وأنت تقوم بالحجامة عندما يخرجون من الجامع، فإنه سيعرض عليك أن تطلق ابنته فأجبه بأنك لا يمكن أن تتنازل عن شرف رفيع حصلت عليه، حتى ولو بذل لك القاضي كل ما لديه، ولاشك أنه بعد الأخذ والرد والإقبال والصّد سيعرض عليك أن يعطيك كل ما أنفقته على ابنته من مهر، على أن تطلقها قبل وقت الظهر، فعند ذلك أقبل منه بشرط أن يعود معك إلى بيته فيعطيك ذلك نقداً معجَّلاً، وتعطيه طلاقها مكتوباً مسجَّلاً.

فقام التاجر من فوره إلى تلك اللوحة فأصلحها، ثم مَدّ يده إلى الفتاة ليصافحها غير أنها صدته، وقالت : ألم أقل لك بأنني لست ممن تعرفهن بما لا يشرفهن! .

ثم ودعته على أن تعود إليه نهار السبت لتسأله عما أُنجز من العمل وقد نفذ في يوم الجمعة تلك الخطة وتخلص من الورطة.

قال الراوي:

وعندما عادت إليه الفتاة يوم السبت وجدته منشرح الصدر، طيب القلب إلا أن ذلك لم ينسه ما كان يكنه لها من حب، فعرض عليها الزواج بشرط أن لا يكون في ذلك إزعاج لأحدهما أو إحراج.

و لا يدري الراوي ما إذا كانت قد أجابت نداءه، ورددت أصداءه غير أنه يدري أن التاجر قد عرف أن كيد النساء كيد عظيم، واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم.

هلا بالمكوخ:

كانت امرأة لها صاحب يأتي إليها إذا غاب زوجها.

ومرة كان زوجها قد سافر إلى بلاد بعيدة ليكتال منها لهم مؤونة البيت من التمر والقمح وكان الزوج أكوخ أي: أعور قد ذهبت إحدى عينيه، فليس منها في موضعها شيء.

فلما عاد إلي بيته كان صاحبها عندها فطرق الزوج الباب ولم تكن تظن أنه يعود بهذه السرعة وإلا كانت قد أنذرَت صاحبها، واحتالت على إخراجه أو إخفائه.

لذلك فوجئت عندما رأت زوجها هو الطارق ولكن كيد النساء لم يفارقها إذ فعلت ما يأتي:

أخذت تحتضن زوجها وتقبله وقد وضعت إحدى يديها على عينه التي يبصر بها. وهي تقول:

(هلا بالمكوخ، اللي جانا منوخ، معه التمر والعيش) ترفع صوتها بذلك وهي تشير إلى صاحبها بيدها الأخرى أن يغادر البيت.

إلا أن الزوج الأحمق كان إذا وصلت إلى المقطع الأخير في كلامها وهو قولها معه ا لتمر والعيش، يقول:

(أبوك والذرة) أي: لا تنسى أيضاً أنني قد أحضرت مع التمر والعيش الذرة. ولم تزل تكرر قولها:

(هلا بالمكوخ، اللي جانا منوخ، معه التمر والعيش)

وهو يكرر قوله: (أبوك والذرة) حتى فطن الصاحب إلى الأمر وانصرف من البيت الذي لم يكن له إلا باب واحد لأن العين للزوج قد غطتها المرأة بيدها وهو لم يفطن لحيلتها! .

والله إني اتخانز عيونه:

اشترى رجل من جزار قصابة وهي أطراف الذبيحة وحشو بطنها: الرأس والكبد و الكراع والرئة والكرش.

وكان قد مضى عليه وعلى امرأته مدة طويلة لم يذوقا فيها اللحم.

فلما جعلت المرأة تطبخ هذه الأطراف الشهية التي لكل واحدة منها طعم غير طعم الآخر، كان أو ل ما نضج منها الرئة فذاقتها فوجدتها لذيذة الطعم فأكلتها ثم لم تستطع أن تقاوم شهوتها لأكل الكبد فأكلتها.

وكانت الكرش قد نضجت في هذه الأثناء فأخرجتها من القدر وأكلتها، ولم يبق إلا الرأس و الكراع فاغرتها رائحة لحم الرأس فأخرجته وأكلته.

وأما الكراع فإنه كان آخرها وربما أنه لولا ذلك لما كانت تنوى أكله غير أنها قالت في نفسها: إن الكراع ليس من اللحم ولا بالشحم وهو لذيذ الطعم، سريع الهضم ثم أخرجته وأكلته.

ولما رأت القدر خالية من اللحم ولم يبق فيها إلا المرق قالت في نفسها: (الآن راحت السكره وجت الفكرة).

كيف أقابل زوجي وجعلت تقلب وجوه الحيلة حتى اهتدت إلى قول تقوله له ربما يصدقه أو يصدق بعضه.

وكان خارج البيت فلما حضر وهو في الشوق إلى التهام هذه الأطراف الشهية وجد زوجته قد عصبت رأسها بعصابة وقد أصفر لونها وهي تتصنع

الفزع أو الجزع فسألها: ما بك - يا طرفة..؟ فأجابت ، أنت يا سعد جبت لي (لحم متنجس) : فأُجفل من هذه العبارة، بل قفز من موضعه وقد وقف شعر رأسه لأنه من الذين يصدقون بهذه الأشياء ولا تتحمل أعصابهم الحديث عنها وزوجته تعرف منه ذلك.

فقالت دون أن يسألها كيف كان الأمر يا سعد: ساعة ما خرجت من البيت سمعت الرأس يقول بلسانه:(أنا الرأس الفراس، افتحي لي وإلّا أكلتك).فلم أطق صبراً وإنما فتحت له الباب فخرج.

فقال الكراع بعده:

(أنا الكراع، من شافني انراع، افتحي لي وإلّا أكلتك).

ففتحت له فخرج.

فقالت الكرشة (أنا الكرشة بالقدر منفرشة، افتحي لي وإلّا أكلتك) .

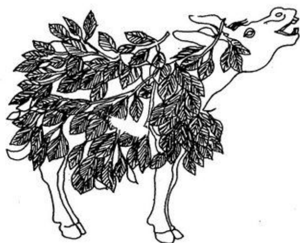
ثم خرجت.

وقالت الكبدة (أن الكبدة، بالقدر منلبده، افتحي لي وإلّا أكلتك) ففتحت لها وخرجت تتبع ما قبلها.

وكان آخر المتكلمين الرئة إذ قالت: (أنا الرية، بالقدر منفرية، افتحي لي وإلّا أكلتك) وراحت مع الأولات.

والله يا سعد يا أبو مسعود إني ما صدقت أنهم طلعوا فرحت وإلا كان ما قدرت أقعد بالبيت وهن معي.

فقال الزوج (الذكي) الحمد لله على سلامتك منهن – يا طرفة – أنا والله من يوم أن الرأس عند القصاب وأنا متخانز عيونه ! .



الأصيقع وامرأته:

كان لرجل يسمى .. الأصيقع زوجة تكرهه ولا تخاف الله فيه، وكان يحبها ويظن أنها مخلصة له.

وكانت إذا كان حاضراً في البلد عمدت إلى طلاء جسمها بالكركم الأصفر الذي يجعل لون جسمها بلون جسم المريض ثم عصبت رأسها بعصابة تتظاهر بأنه يؤلمها من شدة المرض، وهي تريد بذلك أن يبتعد عنها ولا يقربها.

أما إذا غاب عنها في بلد آخر أو قرية مجاورة وتيقنت من ذلك فإنها تزيل عن جسمها الطلاء الأصفر، وتتنظف وتتطيب وتقابل أصحابها.

وذات مرة أبطأ زوجها في البلد عندها فأرادت إبعاده عنها وقد تعبت من كثرة التظاهر بالمرض وطلاء جسمها بذلك الذي يجعل لونه أصفر وهي تريده أن يبعد عن البلد حتى يخلو لها الجو.

فلما سألها عن صحتها على جاري عادته قالت له: أن امرأة تعرف الأمراض وعلاجها أخبرتني أنه لا علاج لمرضى إلّا علاجاً اسمه (دا الدّويّه) وأنه غير موجود ببلدنا هذا ولابد من البحث عنه في البلاد الأخرى.

ففرح زوجها بكونها قد عرفت دواءها وقال: لا تهتمي من هذا الأمر أنا سوف أذهب واحضر (دا الدوية) من أي مكان يوجد فيه سواء كان بعيداً أو قريباً.

فشكرته على ذلك وليس من عادتها أن تشكره ولكنها في الحقيقة فرحت بكونه سَيفارقها مدة من الزمان تفعل فيها ما تشاء.

أما المسكين فانه خرج من بلده وأخذ معه (نيرة) أي جنيهاً ذهبياً يريد أن يشتري بها هذا الدواء إذا لزم الأمر ولم يكن ثمنه أقل من ذلك.

وسأل أول بلدة دخلها عن هذا الدواء (دا الدوية) فلم يجد من يعرفه.وعندما انتقل إلى البلدة الثانية سأل عنه أيضاً فلم يعرفه أحد ممن يهتمون بالأدوية، وكان في هذا البلدة رجل صديق لوالده فرأى أن يزوره ويستريح عنده.

فلما قص عليه قصة مقدمه استراب صديق والده بالأمر واستقصى أمره كله، فكاد يتيقن من شكه في زوجة (الأصيقع) فأخبره ولكن الأصيقع أبى أن يوافق على ما رآه ،وأبدا ثقته بزوجته، وبعد أن تجادلا في الأمر تراهنا عليه بأنه إذا تيقن (الأصيقع) من كذب زوجته عليه فإن (النيرة) التي معه تكون لصاحبه صديق أبيه وإذا ثبت العكس فأن حمار صاحبه الذي سيعودان عليه إلى بلد الأصيقع يكون للأصيقع.

ثم سارا قاصدين بلدة الأصيقع وصاحبه . وأما ما كان من أمر زوجته فإنها لما سافر زوجها واطمأنت إلى أنه سيغيب كثيراً عن البلد زينت يديها ورجليها بالخضاب بالحناء على جاري عادتها، واستقبلت من أرادت أن تستقبله ظناً منها أن زوجها سيغيب غيبة طويلة ولم تكن تتوقع أنه يعود بسرعة.

لقد ظل الأصيقع وصاحبه يسيران حتى وصلا إلى قرب بلد الاصيقع، فاخذ صاحبه من أحد الفلاحين مجموعة من عسبان النخل – جمع عسيب – ووضعها على ظهر حماره ووضع (الأصيقع) فيما بينها بحيث أنها كانت تغطيه، ولا يبصره أحد وطرق الباب على زوجة الأصيقع فاطلت امرأته من الباب ولم تر غير رجل معه حمار عليه العسبان وقد تزينت ولبست أجمل ثيابها فقال لها الرجل والأصيقع يسمع من بين الخوص:

وبين رجلك يا مليحة   يا مكسورة الخضاب ؟

فأجابته:

راح يجيب (دا الأدوية)   لا يرده الله عليه

إلى أُقفى تقرصه عقرب   وان أقبل تقرصه حيّه

فالتفت الرجل إلى ظهر حماره الذي عليه عسبان النخلة يظن من لا يعرف الأمر أنه يخاطبها وهو في الحقيقة يخاطب الأصيقع الذي كان بينها:

يا الاصيقع يا الابيقع   يا منتوف اللحيّة

الذهب صره بردني   والجحش رده عليه

قالوا فوثب الاصيقع إلى هذه المرأة الماكرة وأخذ يضربها بعسبان النخلة التي كان مختبئاً بينها حتى تكسرت كلها، وهي تصبح وتصرخ ثم طلقها.

أما صاحبه فقد كسب الرهان وفاز (بالنيرة) الذهبية.

فكُوٌّني من الرامّة يا بدو:

كان لأحد الأعراب امرأة وكان عنده جراب كبير مملوء تمراً، وكان غالياً عليه أثيراً لديه وذلك لنفاسة التمر عند الأعراب، وقلته في ذلك الزمان.

فكان لحرصه على ألا تأكل امرأته منه إذا أراد أن يبعد عن بيته أن يصيد (شذيا) وهي نوع من الذبان البرية كبير، ثم يضع تلك (الشذيا) في الجراب، ويشد وكاءه، حتى إذا عاد إلى بيته أسرع إلى وكاء الجراب وهو الحبل الذي يحزم به أعلاه ففكه فإن وجد الشذيا وهي الذياب عرف أن زوجته لم تمس الجراب ولم تأخذ من التمر شيئاً لأنها لو أخذت منه شيئاً لطار الذباب. وقد أطمأن إلى نجاح هذه الطريقة إلا أنه لاحظ أن التمر مع ذلك ينقص نقصاً ظاهراً خاف أن لا يبقى معه منه شيء، ذلك بأن زوجته كانت أذكى منه فقد فطنت إلى عمله وإلى قصده من صيد الذباب وجعله في الجراب، فكانت إذا اكلت من تمر الجراب، وطار الذباب الذي فيه، صادت ذباباً آخر ووضعته في الجراب، وشدت الوكاء عليه، فأصبح كما كان في نظر زوجها قبل أن تمد يدها إليه.

أما الزوج الذي كان حريصا على حفظ التمر، فإنه قد احتار في الأمر.

ولم يسعه إلا أن يطلق صوته وهو حيران قائلاً: **(الوكا وكاي والوعاء وعاي والشذيا شذياي، فكوني من الرّامَّة يا بدو) !** .

أمي أذهن من أبوي:

كان أحدهم حريصاً بل شديد الحرص على إلّا يدع مجالاً لزوجته لأكل شيء من الطعام من دون علمه فكان إذا أحضر اللحم من السوق عد قطعه قطعة قطعة وحفظ عددها بحيث إذا أحضرت زوجته اللحم مطبوخاً عدَّ القطع مرة ثانية للتأكد من أنها لم تأكل شيئاً منها.

وبينما كان أولاده يتحدثون دار بينهم الحديث في مفاضلة أبيهم على أمهم في الذكاء.

وكان أحدهم معجباً بذكاء أبيه حتى إنه يخيل إليه أنه لا يوجد من يدانيه فقال لأخوته:

(أبوي ذهين بعد قطع اللحم وهي (نية) ثم يعدها وهي ناضجة) وقد سلموا جميعهم بهذه الحقيقة أو كادوا إلا أن أصغرهم وكان أذكاهم انبرى لهم قائلاً: (**ولكن أمي أذهن منه، تأكل من كل قطعة قطيعة**)!.

طعم الزاد بحكاكة القدر:

كان رجل يعيش مع زوجته وابن له صغير من زوجة أخرى قبلها، وكان الطعام في زمانهم شحيحاً لذلك يقدرون ما يعدونه للآكل تقديراً، فلابد على سبيل المثال من أن يكون ما يطبخ من الطعام معروف القدر بالمكيال، قبل أن يدفع إلى الزوجة لتصنعه طعاماً للأسرة.

وكان طعامهم من الحبوب كالقمح ونحوه.

فكان الرجل يعطي الزوجة كل يوم ما قدروه لطعام العشاء أما الغداء فإنه كان من التمر والماء.

وكانت الزوجة تصنع الطعام دويفاً و مرقوقاً تطبخه بالقدر إلا أنها تتظاهر لديهم بأنها تؤثر زوجها وابنه على نفسها فكانت تحضر لهم العشاء في القدر وتجلس معهم و لكنها لا تشاركهم الأكل إيثاراً لهم فيما تزعمه.

وكان الطعام ليس كثيراً حتى كانا في بعض الأحيان يأكلانه كله ولا يتركان لها شيئاً وهي تظهر بذلك أنها قريرة العين ، محبة لزوجها وابنه إلى درجة أنها لا تأكل مثلما يأكلانه من الطعام وإنما تكتفي بحكاكة القِدْر وهي ما يلتصق بأسفله من الطعام.

فكانا إذا كان بعد ذلك جاءت الزوجة فقلبته على رأسه كما كانوا يفعلون في ذلك الزمان.

حتى إذا كان بعد ذلك جاءت الزوجة إلى القدر كأنها تريد تنظيفه وأكلت ما فيه من الحكاكة وقد جعلتها تكون وافرة الكمية سمكية الكيفية.

فكان الزوج يكرر شكرها على صنعها ذلك ويقول ويعيد القول أمام مسامع ابنه الذي لم يكن بطبيعته يحب زوجة أبيه، لأنه يعلم أنها لم تكن تحبه.

إلّا أنه صمم على العمل على أن يوقف والده عن كيل ذلك المديح سواء أكان صحيحاً أم غير صحيح.

فراقب الزوجة حتى غفلت عن القدر فقلبه وأخذ يتحسس ما لزق بقاعه من الطعام، فإذا به ثقيل الوزن كبير الكم فاكتشف السر، وقال لولده يشرح له الأمر: (إن كان أنت ما تدري فولدك اللي يدري، ترى طعم الزاد في حكاكة القِدْر!).

الزود أخو النقص:

كان في بيت أحد النجارين شجرة كبيرة فكان يستظل بظلها ويعمل في النجارة، وكانت له أم تظهر المبالغة في التنسك والعبادة.

فقالت له يوماً:

يا بني إني أخاف الله، وإن هذه الشجرة تأوي إليها العصافير، وإذا أردت الوضوء والاغتسال للصلاة فإنها ترى عورتي من فوق الشجرة، وأنا أتحرج من ذلك ولا أستطيع أن أتحمل أثمه! قالوا: ولم يكن في وسعه إلا أن يلبى رغبة والدته في عدم ترك العصافير ترى جسدها، ولو كان في ذلك قطع الشجرة التي يستظل بظلها أثناء عمله فقطعها.

وكان موقع تلك الشجرة عند باب الدار الوحيد وكانت أمه تريد من قطعها أن تمنعه من الجلوس في ذلك المكان حتى يخلو الجو لعشيق لها فيدخل بدون أن يكون ابنها في طريقه، وكانت تتخذ من المبالغة في إظهار التدين وسيلة لستر مخازيها قالوا: ولكن الابن عرف الأمر فهاله وعظم عليه ولم يجد شيئاً يفعله إلّا أن يهرب من تلك البلدة حتى لا يراه الناس ففر منها على قدميه حتى وصل إلى بلدة لا يعرفه فيها أحد فدخل بستاناً بجوارها فيه رجل يسقي الزرع فجلس يشرب من الماء ويستريح واسترعى انتباهه أن الرجل الذي يسقي الزرع يظهر الخشوع ويكثر التمتمة بالتسبيح ثم رأى منه شيئاً أغرب من ذلك.

رآه عندما أراد أن يخرج من حدود البستان إلى بستان آخر أخذ خلالاً فجعل يخرج ما تحت أظفاره من التراب، فسأله عن السبب فقال: إنني رجل أخاف الله وإنني لذلك أخرج ما تحت أظفاري من أرض هذا البستان وأعيده فيها حتى لا أغتصب هذا التراب وأعطيه لآخر يقع في أرضه! .

قالوا: ثم دخل المدينة فرأى في أحد شوارعها رجلاً يظهر النسك والخشوع وبيده عصا طويلة قد رفعها وعلق عليها تسعين جرساً وكان يمشي ويهزها فيسمح للأجراس صوت عظيم، فاقترب منه وسأله:

ولماذا فعلت هذا ؟ فأجابه:

يا أخي: أنا رجل أخاف الله وأنني أخشى إذا مشيت أنا تطأ قدمي ذرة فأقتلها فأتحمل إثم قتلها! وقد وضعت هذه الأجراس حتى تسمع الذر ومخلوقات الله الصغيرة الأخرى أصواتها فتبعد عن طريقي فلا أؤذيها !

قالوا: وكان مجهداً جائعاً لا يعرف أحداً يقرضه أو يجد أحداً يتصدق عليه فسمع منادي السلطان ينادي في الأسواق: إن خزينة السلطان قد سرقت وإن السلطان قد جعل لمن يدل عليها ألف دينار جائزة، وأخذ يفكر في حاجته إلى المال ثم أخذ يستعرض ما جرى له حتى طاف في ذهنه ما فعلته أمه وقولها -كذباً- إنها تخاف الله ثم بحال الرجل الذي ينظف أظفاره من التراب والرجل الآخر ذي الأجراس الذي يخاف أن يقتل ذرة وقارن بين حالتيهما وحالة أمه واستخلص من ذلك فكرة سرعان ما نفذها! .

ذهب إلى السلطان وقال: لقد عرفت من سرق خزانتكم! إنهما الرجلان أحدهما الذي يسقي البستان والثاني ذو الأجراس وقبض عليهما السلطان فاعترفا:

وعندما أعطى النجار الجائزة سأله من أين عرف ذلك؟

فقص عليه قصته من أولها وقال:

إنني وجدت أن حالتيهما تشبه حالة أمي ، وأن المبالغة في إظهار التدين قد تدل على نقيضها!.

مأكـــولات عامـــية

أقوال في الجراد:

الجراد، راح يراد، بشر أمه بالفراق.

جراده بايدي ولا عشر طياره.

ما يشبع روحه من عمود الجراد.

مجفاة مرق أحب إليّ من عمود جراد.

تقول الجرادة: أنا الهيت الخرقا بقصمو لي الهيتها عن سوى عشاها.

الجراد ما هو بمصيده أمس.

الجرادة من جراد، والمطية من ركاب.

أكثر من زقان الجراد.

جراد تهامي.

جراد قفصان.

جراد بعدل.

يا حسين صح، جابت أمك جراد ما ذبِّحْ.

الجراد ما يشبع آكله ولا يستحي سائله.

مثل دقوقة الجراد ينشب بالحلق.

أرخص من الجراد.

يا جَرّادة.

قال: طلع الجراد، قال : طلع العذاب.

جرادة : عيونه برأس هامته.

يا الله بركة مجرودة ولا بركة مصرود.

الجراد يرخِّص اللحم.

الجرادة ما عودة تأكل كبر رأسها لو من حصاة.

جرادة : يأكل ولا يسمن.

الجراد ما يبيته خامل.

الجراد له فِزّه.

إلى طلع الجراد فأنثر الدوا، وإلى طلع الفقع فَصر الدوا.

جراد يأكل حيه ميته.

قصـص وحكايـات

قصص العبيد

في الزمن القديم كان للأغنياءِ عبيد يستخدمونهم في الأعمال الشاقة ولا يستخدمونهم في الأعمال التي تحتاج إلى تفكير مثل أعمال التجارة والمال.

لذلك صار أكثر العبيد على غاية من عدم المعرفة بالأمور، فقد تبلدت أفكارهم وتعطلت أذهانهم عن العمل.

ومن أجل ذلك صار العوام يروون عنهم حكايات تدل على الغفلة والبلاهة، ومع أن الرق و اتخاذ العبيد قد انتهى منذ عهد طويل فإنه لا مانع من إيراد هذه الحكايات التي أصبحت جزءاً من الأدب الشعبي.

أخاف إنه هدانا:

خرج عبدان أحدهما اسمه (سعيد) والآخر اسمه (مبارك) إلى البرية، وبينهما كانا في سرور وانشراح يتبادلان حكايات العبيد، ويغنيان أغانيهما المفضلة، و كان كل منهما شبعان ريان وهو أمر لايتيسر لهما في كل وقت. إلا أن (الدنيا ما صفت إلاّ وكدرت) إذْ مرّا بعبد ميت وجسمه ممدود على الأرض وكان أول من رآه (سعيد) فتكدر صفوه، وغشيه حزن عظيم.

ونظر إلى رفيقه (مبارك) و قال له : أنظر يا (مبارك) هذا العبد الميت (ما هو هدانا ؟) أي : ألا يجوز أن يكون أحدنا!؟

فقال مبارك وهو ينظر إلى الجسم الملقى على الأرض: (والله إني أخاف إنه (هدانا) أي – أحدنا).

ووقفا يتناقشان في هذا الأمر المشكل وقد فارقهما ما كانا فيه من سرور وغشى أعينهما الشك والارتياب ووقفا حائرين فزعين يتناقشان في الطريقة التي يمكنهما بها أن يعرفا أن هذا العبد الميت ليس أحدهما.

وكان (سعيد) أذكى من (مبارك) إذ هداه تفكيره بعد فترة طويلة إلى طريقة يحلان بها هذه المعضلة!

قال لصاحبه وهو يحاوره:

يا مبارك أحسن شيء نعرف أن الميت ما هو واحد منا انك تروح إلى التل الآخر الذي نقابله، فنادني بأعلى صوتك قائلاً: يا سعيد ، يا سعيد ثلاث مرات فإن سمعتني أقول لك :نعم يا مبارك، وش تبي يا مبارك، وش تقول يا مبارك فهو (ما هو ب هدانا) وان ما سمعتني أقول لك:

وش تبي يا مبارك فهو (هدانا).

و هكذا فعلاً نادى مبارك بأعلى صوته:

يا سعيد ثلاث مرات، فردَّ عليه مبارك – ثلاث مرات – فالتقيا في السهل وجعل كل واحد منهما يقبل صاحبه ويقول: الحمد لله صار ما هو (هدانا).

و يد ما ويد هاتوا عشانا:

كان أحد العبيد يرعى الإبل فيعزب بإبله أي يطيل الذهاب إلى المرعى ويظل أياماً هناك.

وذات مرة بقي مدة ثمانية أيام حتى نفد ما كان معه من تمر وسمن ولم يكن له غداء غيرهما إلا لبن الإبل فعاد بالإبل مع غروب الشمس حتى يدرك عشاء أهله. و كانت امرأته حاملاً قد أوشكت على الوضع عند ذهابه فوضعت في أثناء غيابه طفلاً ذكراً.

وحالما وصل تلقاه أهل الإبل وقالوا له: ابشر يا مرجان جاك وليد، مرتك جابت لك وليد، فقال لهم : هاتوا عشانا!

فقالوا له: ابشر جاك وليد فلم يجبهم.

فكرروا عليه القول: وليد ، وليد.

فأجابهم بكل جفاء وغلظة:

(ويد ما ويد هاتوا عشانا) أي: وليد وما أدراك ما وليد ليس مهما المهم هاتوا لنا عشانا.

فتركوا الكلام معه في المولود الذي رزق به واحضروا له العشاء فلما شبع واكتفى التفت إليهم من دون أن يقولوا له شيئاً وقال لهم:

(وليد، وليد، الله يبشركم بالخير).

ومثلها ما قيل إن عبداً عاد إلى بيته وهو جائع وإذا بامرأته لم تجهز له عشاء وإنما اشتغلت بنفسها فمشطت شعرها بالحناء، وجعلت لها ضفائر قصيرة بالقدر الذي يسمح به شعرها.

وكانت تفعل ذلك لأول مرة وظنت أن زوجها سوف يسر بذلك أكثر من سروره فيما إذا وجد العشاء جاهزاً.

وكانت عودته بعد صلاة العشاء وتلك هي ساعة النوم عندهم فذهب إلى فراشه عندما لم يجد العشاء وأسرعت زوجته إلى النوم بجانبه ولكنه أعطاها ظهره غضباً من فعلها وهجراناً لها على ذلك.

فقالت له: التفت وشوف بلابل وهنا يا ملقينا قفاه أي التفت وانظر إلى الظفائر والحناء: يا من أوليتنا قفاه.

فأجابها قائلاً: ما أنا ملتفت يا مخلينا بلا عشاء ! .

هو له رأس أو ماله رأس؟

خرج جماعة من العبيد يبحثون عن صيد يأكلونه كما يفعل غيرهم من الناس فلما مضى وقت على ذلك واحتاجوا إلى أن يجدوا صيداً يأكلونه ولم يكونوا قبل ذلك قد وفقوا في العثور على شئ وجدوا جحر ضبع في صدع من جبل ففرحوا بذلك وعدّوا هذا من حسن الحظ لأن الضبع تكون حتماً في جحرها في النهار ولا تفارقه كما أنها كبيرة يكون فيها من اللحم بقدر ما يكون في الخروف أو أكثر من ذلك.

وكانوا يعلمون أنه لابد لصيد الضبع من الدخول عليها في الجحر أو انتظار خروجها عندما يحل الظلام وفضلوا الأول لأنه الأسرع وهو أسهل فيما ظنوا.

ولكن من الذي يدخل على الضبع منهم؟

وبعد مداولة انتدبوا أحدهم لذلك وكان يعرف أكثر مما يعرفون عن أحوال الضبع في جحرها مما سمعه من الناس وكان من ذلك قوله: إن جحر الضبع ضيق لا يستطيع من بداخله أن يستدير فيه لذلك لابد من أن يدخله على وجهه ثم يعود على قفاه! ولكن كيف يستطيع ذلك بعد أن يكون قد أمسك بالضبع، وكيف يستطيع أن يجر الضبع ويجر جسمه؟

فاتفقوا على أن يربطوا في رجله حبلاً حتى إذا أرادهم أن يجروه حرك رجله.

وهكذا فعلوا إلا أنهم لغفلتهم وقلة فطنتهم لم ينتبهوا إلى أن الضبع نفسها تفعل في جحرها كذلك أي هي تدخله وتخرج منه دون أن تلتفت، إلا أنها تدخله من تلقاه قفاها أي: تجعل وجهها مما يلي خارج الجحر عند الدخول والخروج وذلك لكي تتمكن من الدفاع على نفسها.

وكان الصيادون المهرة الذين اعتادوا الدخول على الضباع في وجارها يحملون معهم أشياء تكون وقاية دون أجسامهم فيما بينها وبين فم الضبع الذي يأكل العظام الصلبة كما يأكل الصبي الكعك.

ودخل العبد الماهر لصيد الضبع يزحف على بطنه لأن سقف الجحر ليس عالياً وهو ضيق من الجانبين وكان المكان مظلماً لأن الجحر ذاهب في الجبل.

و كان أول ما لاقاه من الضبع وجهها فكان رأس العبد لقمة سائغة في فم الضبع التي طحنته طحناً.

هذا ورفاقه ينتظرون إشارته للخروج حاملاً الضبعة الغنيمة إلا أن ذلك قد أبطأ عليهم.

وانتظروا ثم انتظروا دون أن يجدوا الإشارة المطلوبة فقال بعضهم إنه الآن يأكل من كبد الضبع، وقال آخر:

الدليل على ذلك أنه أسرع في طلب الدخول عليها.

أما الشخص الثالث الذي كان أعقلهم فإنه قال: يا قوم (الغايب حجته معه) اسحبوه وشوفوا وش فيه.

وهكذا سحبوه ولكنهم عندما أرادوا أن يتفاهموا معه لم يجدوا فيه رأساً يمكن أن يكلمهم.

فقال بعضهم لبعض: (هو يوم يدخل على الضبعة له رأس أو ماله رأس) ؟.

فاحتاروا في الإجابة ونظر بعضهم إلى بعض لعل أحدهم يعرف ذلك ولكن لم يكن فيهم من يتيقن من هذا الأمر فأجمعوا على أمر يوضح هذه المشكلة، أجمعوا على أن يسألوا أمه.

فتركوه وانطلقوا إلى أمه وقالوا لها : أنتم يوم إنك ولدت ولدك جوهر - وهذا هو اسمه - هو له رأس أو ما له رأس؟

فقالت الأم: أنا بالحقيقة يوم ولدته كنت مشغولة بنفسي وتعبانه ولا نظرت هو له رأس أو ماله رأس!

لكن وش لزوم هذا السؤال؟

فأجابوه: لقد دخل إلى جحر الضبع وعندما خرج لم تجد له رأساً فلا ندري أكان كذلك قبل الدخول أم لا؟

فقالت: أسألوا المولدة هي اللي يوم ولدته أخذته و شافته فذهبوا إلى المولدة وسألوها: يوم يولد (جوهر) هو له رأس أو ماله رأس؟

فقالت:كيف؟ له رأس وأوي رأس، وعيون نفاص، وخشيم للعطاس.!

عسى النار حقي وحق حريمتي

عاد عبد إلى بيته في يوم شديد البرد، ولم يكن يرتدي ملابس كافية فكان يرتعد من البرد لذلك صاح بامرأته قائلاً :

عجلي عجلي بإيقاد النار أنا بردان أنا حول إني أموت من البرد:

فأسرعت امرأته وأوقدت النار فلما أحس بلذة الدفء، وكان مغاضباً لأمه في ذلك اليوم قال وهو يصطلي بالنار (عسى النار هقى و هق هريمتي وأمي صفرا عين ما تذوقها).

أي : عسى أن تكون النار من نصيبي ونصيب امرأتي أما أمي ذات العين الصفراء فعسى ألّا تذوقها.

غطّه لا تِقنَّمه:

وعلى ذكر النار والاصطلاء بها روى العوام في طرائفهم أن عبداً كان يصطلي على الجمر هو وزوجته وكانا متغاضبين إلّا أن ذلك لم يمنع من التخاطب ، ولم يكن العبد يلبس سراويل فرأته امرأته قريباً من النار فخافت عليه منها ولم تمنعها مخاصمتها لزوجها من قولها له:

(غطه لا تقنمه) أي : غطه عن النار حتى لا تقنمه أي: تأكل شيئاً من طرفه.

فأجابها وهو غاضب: (خليها تقنمه) !

فقالت: (عساها تقنمك ولا تقنمه، وهو يسلمه) أي: عسى أن تأكلك النار دونه أما هو فعسى الله أن يسلمه منها! .

وأنت عاد قماري:

ذهب العبد سعيد(يحنشل) كما كان (أعمامه) من البدو يعملون، وكان شجاعاً جرىء القلب، قوي الجسم سريع العَدْو بحيث لا يستطيع من يطلبه من الناس أن يلحق به.

وكان مثل مواليه من البدو قد ألف حياة الخشونة والشدة بل إنه فاقهم في ذلك، فلم تكن قدماه تعرفان النعال، ولم يكن جسمه مضطراً إلى لبس الثياب، كما كان الشوك بالنسبة لقدميه كأنما يربت عليهما حتى ولو كان يمشى على الأشواك في حلكة الظلام، أما الحجارة التي تنكب رجليه، أو تصيب أصبعاً من أصابع قدميه فلم يكن يبالي بشيء منها لأن قدميه مثل يديه كأنهما لديه حجارة من الحجارة.

كانت الليلة التي ذهب فيها سعيد (يحنشل) ليلة سوداء قد غابت نجومها و احلولك أديمها، وقد أعتبر أن هذا من حسن حظه بل اعتبره فألا حسناً لنجاحه، لأنه كلما كانت الليلة شديدة الظلمة كان ذلك أسهل على (الحنشولي) كي يصل إلى الإبل أو الغنم. كي يذهب بها يظفر به منها.

كان (سعيد) قد خلع ثيابه كما يفعل غيره من المنتهبين احتياطاً للأمر حتى إذا فرض أن أحداً من الذين سيسرق منهم لحق به فإنه لا يستطيع إمساكه لاسيما وأنه قد دهن جسمه بشيء من الزبد التماساً للدفء وللانزلاق من أيدي من يحاولون إمساكه.

سار سعيد في تلك الليلة المدلهمة إلى هدفه، وهي إبل أحد الأعراب يريد أن ينتهز فرصة قد تسنح فيسرق بعيراً، ثم ينصرف به بسرعة قبل أن يشعر به أصحابه وهذا هو عمل الحناشل أمثاله.

فوصل إلى هدفه في وقت مبكر دون أن يشعر به أحد فتيقن من نجاحه في بغيته، وكمن قريباً من مكانهم يريد أن يتأكد من نومهم جميعاً حتى يتمكن من أخذ البعير وسرعة الانصراف به قبل أن يشعروا به.

وكان يرى ناراً تأجج قد جلس صاحب البيت قريباً منها وهو يعرف بحكم تجربته أنه لابد أن ينام قريباً فيظفر بما يريد وهكذا كان ما قدر أنه سيكون، فقد أطفأ صاحب البيت النار، ثم خرج من بيته يريد أن يقضي له حاجة ، ولما رأى شدة ظلام الليل بسبب غياب النجوم خلف ستار كثيف من الغيوم، وكان أيضاً في السرار.

فقال صاحب البيت: لا إله إلا الله ، محمد رسول الله، وش هذا الظلام ؟ اللي ما كنه إلا خرق عبد !!! .

وعندما سمعه سعيد، وهو يتناول بكلامه العبيد لم يستطع الصبر على هذا الأمر، ونسي أنه في موقف الخطر، ولم يعد يشعر إلا أن من واجبه أن يرد على

هذا البدوي الذي لونه في الحقيقة ليس بعيداً عن السواد بسبب الشمس والبرد فقال منفعلاً:

(وأنت عاد قماري) أي لماذا تسب سواد العبيد وأنت لست أبيض كضوء القمر؟.

وهنا عرف القوم بمكانه فأمسكوا به، وضربوه حتى أوجعوه ثم استعبدوه، وكذلك بناته وبنوه إذا أنهم زوجوه ليستولدوه.

شور حمده على منديل:

كبرت لحية منديل وعظمت حتى كادت تغطي وجهه وكانت سوداء كوجهه فكان الذي يراه لا يدري أهو يرى لحية فيها وجه أو وجها فيه لحية لذلك قالت له زوجته التي لم ترقها لحيته.

يا منديل:

فأجابها قائلاً: وش تقولين يا حمدة؟

فقالت له: عندي لك شور وأوي شور!

قال لها: أنت لا تريدين إلا الخير فما هو الشور؟

فقالت حَسِّن لحيتك ترجع صبي!

ففزع لهذا الشور الذي لم يدر بباله بل لم يصل إلى خياله.

ولكن كلمة (ترجع صبي) قد نفذت إلى أبعد من ذلك في تفكيره لا سيما إذا كانت قد صدرت من (حمده) المحبوبة، وكانت فكرة تعيد إليه ذكرى شبابه، بل تعيده إلى الشباب فيعود صبياً غض الاهاب.

و لكنه أراد أن يتأكد من حمده ومن تفكيرها (الراجح) الذي اعتاد أن يتلقى منه النصائح، فسألها كيف ذلك يا حمده؟

فقالت له:

ألست صبياً قبل طلوع هذه اللحية الكبيرة ؟ فأجاب؟

بلى، إنني أذكر ذلك ولا أستطيع أن أنساه.

فقالت: إذاً إذا حلقتها تصبح كما كنت وقتها.

فاقتنع بهذه الفكرة بل أعجب بها وحزم على تنفيذها أمره.

بل إنه نفذها في الحال، ولكنه عندما قابله بعض الرجال وقد بدا وجهه مسخاً بين وجه الصبي ووجه الرجل الذي قارب الاكتهال شنعوا عليه، وازروا بفعله لديه،ه بل أغروا به بعض الصبيان الذي انطلقوا خلفه كما ينطلقون خلف من خالطه جان، بل إنهم رابطوا أمام بيته ينتظرون أن يغادره، حتى يطلقوا فيه من سهام كلماتهم الكاسرة.

مما جعله يضطر إلى لزوم البيت وهو يستبطئ أن تنبت لحيته فيسلم من السخرية في مقابل أن يطّلق الشباب، وألا يطيع مشورة ذات نقاب.

في السوق رجال:

كانت سعيدة تذهب في حاجة مواليها إلى السوق كل يوم بل أكثر من مرة في اليوم.

و لم تكن تبالي بأحد من الرجال، أو الشبان، بل لم يكونوا يقعون من عينها موقع الاستحسان، بلى ربما كان منظر الواحد منهم عندها لا يختلف عن منظر الواحد من الحيوان.

وكانت بذلك عند أهلها وكانوا يعدون ذلك من أحاسن فعلها، لأنها تقوم في حوائجهم مقام الرجال، وتعمل في البيت كما تفعل ذوات الدلال.

وفي مرة من المرات وقد أرسلها أهلها إلى السوق كما هي العادة أسرعت بالرجوع إلى البيت دون أن تقضى لصاحبه مراده.

فسألوها مستغربين: ماذا بك يا سعيدة، ولماذا عدت من السوق قبل أن تقضى حاجاتك العديدة؟

فأجابت : لم أقدر على دخول ذلك المجال، لأنه (في السوق رجال).

ولما كانوا يعرفون أن السوق يكون فيه رجال على كل الأحوال وإلا لما استحق أن يسمى سوقاً بحال فإنهم كرروا عليها السؤال، إلا أنهم لم يصلوا إلى جواب ذي بال.

فذهبوا بأنفسهم إلى السوق ليروا ماذا كان فيه ما يعوق فشاهدوا الرجال الذين أشارت إليهم سعيدة في ذلك المقال، وإذا بهم يجدونه شاباً أسود اللون ريان العود، صقيل السواد حتى ليستطيع الكاتب أن يستمد من جبهته المداد.

و إذا به يعد أن تحققوا من (سعيدة) عما قالت هو المقصود بالرجال لأنها بغيره ما بالت بحال من الأحوال!.

وهذه من حكايات العبيد التي تدل على الفطنة والدهاء وسعة الحيلة.

حط بالعروك من طيب اللحم:

كان أحد الأعراب نازلاً في الصحراء، ولم يذق اللحم منذ مدة طويلة فوجد قعوداً أي بعيراً صغيراً ضالاً فأخذه وأخفاه ثم ذبحه وأخذ يعمل على تقديد لحمه وإذابة شحمه، ولكن فعل ذلك كله بخفية لئلا يعلم أحد به فيخبر صاحب القعود إذا جاء يسأل عنه.

و كان له عبد يرى ذلك بل يساعده على ذبح القعود حسب أمر سيده.

وكان العبد من عادته أن يذهب بالإبل إلى المراعي فيبعد بها ويقيم أياماً قد تصل إلى سبعة أو ثمانية وكان يظن أن سيده سوف يعطيه من اللحم الطيب لقاء ما كتمه من سره ومقابل مساعدته إيَّاه على ذبح القعود، وخزن لحمه.

فأحضر العبد (العروك) وهو الوعاء الذي يجعل فيه الراعي زاده وما يحتاج إليه في المرعى وقال: يا عم أنا أزيد أن أغيب أياماً مع الإبل في المرعى فاجعل لي في هذا (العروك) لحماً يكفيني الأيام كلها من لحم القعود الذي هو كثير بين يديك فانتهزه السيد، وقال : أعطيتك من اللحم اللي يصلح لك وأمثالك.

ثم أخذ قطعة من الكرش وقطعة أخرى من الرئة، وبعض المصران فوضعها في (العروك) وقال: أهلاً وسهلاً - يا مرجان - هذا يكفيك يومين أو ثلاثة !.

إلّا أن العبد لم يرض بهذه الأشياء من البعير وإنما أراد نصيبه من أطايب اللحم فقال: (يا عم حط بالعروك من طيب اللحم) ، فتجاهله سيده ولما كرّر عليه القول قال:

(ما أنا معطيك غير هذا إن بغيت خذه وإلا خله، كثر خيري اللي عطيتك هذا من فوقك المصران و الكرشة يا مرجان طيب اللحم للرجال الطيبين ما هو للعبيد!).

فسكت العبد مرغما.

وبعد قليل سمعا صوتاً ينادي من بعيد يقول:

(من شاف القعود اللي ضاع من مدة يومين جزاء الله خير؟)!

فنادى العبد بأعلى صوته:

(يا راعي القعود ابشر بقعودك).

وقد ارتاع السيد من ذلك ولكنه ظن أن العبد لن يجرؤ على مناداة صاحب القعود حقيقة، لأنه بعيد لا يسمع صوته.

فانتهر العبد.

إلّا أن الصوت الذي سأل عن القعود اقترب منهما قليلاً فأجابه صوت العبد كما فعل في المرة الأولى قائلاً: (يا راعي القعود أبشر بقعودك).

فقال السيد: ما هذا يا مرجان؟ أتريد أن تخبر صاحب القعود بما فعلناه بقعوده وتفضحنا عند الناس؟

فقال له العبد: (حط بالعروك من طيب اللحم) غير أن السيد لم يبال به.

ولكنه أضطر أن يبالي عندما سمع العبد ينادي بصوت أرفع من الأول لم يشك في أنه سيبلغ مسامع صاحب القعود، (يا اللي تشدد عن القعود أبشر بقعودك).فانتهزه بحنق إلّا أن مرجان لم يزد على قوله لسيده (حط بالعروك من طيب اللحم).

فاضطر السيد إلى أن يأخذ من اللحم الطيب قطعة ويضعها في العروك فأسرع العبد يبعد عن العروك ما كان فيه من كرش ورثة ومصران وهوينادي صاحب القعود بقوله، ابشر بقعودك مرة ويقول لسيده بصوت خفيض مرة أخرى (حط بالعروك من طيب اللحم).

فأخذ السيد يضع اللحم الطيب في العروك وهو يرتجف خائفاً على سمعته وعلى أن يلزم بدفع ثمن القعود.

فما كاد يملأ العروك من اللحم الطيب والعبد قد اطمأن إلى ذلك حتى نهض العبد وقابل صاحب القعود قبل أن يصل إلى بيت سيده وقال له بلهجة العبد الغر الجديد على البادية وهو يتصنع البله.

(يا عم البارحة الأول شفت أرنب يرفع إذن ويطمن إذن ما أدري اللي جفله قعودك وإلا قعود غيرك) : فلم يكن من صاحب القعود الذي خاب أمله إلا أن يشتمه ويبعد عن بيت سيده وهو يكاد يتميز من الغيظ.

أما السيد فإنه أخذ يشكر عبده على هذا الكلام الذي خلصه ويقول: إنك تستحق ما في العروك من اللحم وأكثر منه.

ما حلى الاحيمر على الاسيمر:

كان أحد الأمراء له عدة أولاد فأهديت إليه جبة حمراء ثمينة.

وكانت له عبدة اسمها سعيدة يثق برأيها، وكان مشغولاً عن أن يختار من أولاده من تناسبه الجبة المذكورة سواء من حيث الحجم أو من حيث اللون فأعطاها العبدة وقال:

(يا سعيدة شوفي احد العيال اللي تناسب عليه هالجبة ولبسيها إيَّاه).

وكان لها ولد في سن أولاد سيدها فألبسته الجبة وحرمت أبناء سيدها منها ولم تظهرها لأحد.

وبعد مدة ذكر سيدها الأمر فناداها قائلاً:

يا سعيدة من هو الذي ناسبت له الجبة من أولادي؟

فأجابت : يا سيدي ما حلا الاحيمر على الاسيمر.

فلم يفهم ما أرادت فاستفهم منها عن جلية الأمر.

فقالت يا سيدي: الجبة حمراء ووليدي (فرج) اسمر وشفت الحمر على الأسمر يناسب فلبّستها (فرج)! .

أسمـــاء وأشعـــار

أسماء الذكور الشائعة وتصغيرها

عبـد الـرحمن : تصغيره : دحيم، ودريحم والدحمى ودْحَيْم وكنيته أبوعوف
عبـد الله : تصغيره : عبَيد وعبيد الله و العبدي وكنيته: أبونجم.
محمـد : تصغيره : الحميدي ومحيميد وكنيته: أبو قاسم.
صـالح : تصغيره : صويلح وكنيته: أبو مهيد.
سـليمان : تصغيره : سليّم وكنيته أبو داود.
عبـد الكـريم : تصغيره : كريّم.
حمـد : تصغيره : حميَّد وكنيته أبو شهاب.
عـلي : تصغيره : عليوى وعْلَيّ وكنيته أبو حسين.
عبـد العزيـز : تصغيره :عزيز والعزّي: وكنيته أبو سعود.
أحمـد : تصغيره : أحيمد.
نـاصر : تصغيره : نويصر وكنيته أبو عليوي.
إبـراهيم : تصغيره : ابريهم: كنيته أبو خليل.
فهـد : تصغيره : فهيِّد وفهيد.
عقيـل : تصغيره : عقيِّل.
راشِـد: تصغيره : رويشد.
سـعد : تصغيره : سعيدان.
حمـود : كنيـته :أبو بدر.
سـالم : تصغبره : سويلم وكنيته أبو أحمد.
عمـر : تصغيره : عمير وكنيته أبو حفص.

من أسماء النساء وتصغيرها

نـــوره : نوير والنوري.

حـــــصه : حصيصه والحِصّي.

طرفـــــه : طريفه.

هيلـــــــه : هييله والهِليّ.

منـــــيره : مْنَيّر.

لطيفـــــــه : لطيِّف.

مزنـــــــة : مزينة.

مـــــــوضى : مضيوي.

لولـــــوه : اللولو ولوليوه.

فاطمـــــــة : فطيمة.

شـــــايعة : شويع.

عايـــــشة : عييشة.

ميثــــــــا : مييثا.

شـــــعاع : شعيِّع

أسماء النساء واردة في الشعر العامي

في (موضي):

يا أهل الضَّمر الكِنس الدرّاب اجعلوا هَجّة العصر مفروضِ

وأردوا مشرب يتعب الجذّاب لي لفيتوا مع جرّة الحوضِ

سلموا لي على مورد الهيّاب ثم بعد سلموا لي على (موضي)

شبه ريمية تتعب المِعطابْ تتبع الحزم ماتَدْ هَل الروض

وقال آخر في(**مزنة**):

جونا هجاد وجملة الناس برقود واهل القهاوي مشعلين ضواها

(مزنة)تصيح ومقدم الرأس مشدود ياليتهم ما بَرّقوا في صباها

وقال آخر في (**هيله**) :

يا (هيله) زورينا لولا البعد زرناك

لولا الناقة الضّالعْ عنينا لك وجبْناك

ألا يا زينة الغرّة ترى جَتْنا حكاياك

ورد في (**هيله**) أيضاً :

مَرّيت أسقي بعاريني وإلى (هيله) تلادى لي

قلت تكفي (هيله) حبيبني وأعطيك العوجا ونخيلي
والدار اللي ورا البطحا والدلـه والفناجيل

وهذه أبيات فيها ذكر (**بتلا**) و (**وضحى**) :

ترانا ذرى الجيران يا كاسب الثنا على كل حال والخلايق شهوده
جاراتنا يا زيد مثل أمهاتنا والأجواد ما تجعل ذراها وقودَه
أنا شوق (بتلا)ستر (وضحى محمد) أنا ستر بيض قاعداتٍ نْهودَه

وفي (**سارة**) :

طرد النظر ما فيه عَيْب عَلَيّه أبا اتحلى بنت ماضين الافعال
يا ونتي يا (ساره) الوازعيه ونة معيد ساقه الفجر عمّال
تقفى وتقبل فوق جال الركيه ومن الصّلَفْ خالي ظهرها من الحال

وهذه الأبيات فيها ذكر (**شعَّيع**) :

ثلاثة أيام على الوجه شِداد وأنا بْجرَّة زملهم بانجداله
لحقتهم بمستوى العرق من غاد وعزَّي لمن مثلي ذلوله نعاله
أخو (شعَّيع) يوم يطرون الاولاد مثل الجمل وان دنيّ الحمل شاله
يلحى من الذرعان عن لوذة الزاد ومعاونه ربي بعزة جلاله

وفي (قويِّلة):

يا (قويلة) جينا بْمن يذبح الكوم   لو راح ما تنفع سمان العذارى
يا (قويلة) قطنان هجم على القوم   وابن الاصيقع خالفه من يسارا
أبوك نِعْمِ فيه ما يلحقه لومْ   لا شك غوجه قاصر بالمغارا

وقال غيره في (هلاله) :

يا عبيد دونك شَوشَتْ بي(هلاله)   شافت بوجهي يا عِضيدي شْهُومِ
وجهي مْسَودته لواهيب لاله   من كثر ماتنطح لهيب السموم
إن قَيِّضّوا ربعي بخطو السلاله   أنا رقيبتهم بُعالي الرجُوم

وفي امرأة تسمى (نيله) :

سلام يا (نيله) بوسط الجماعة   وتْرَىَ السّلام البَرْحْ ما فيه مَنْقُودْ
لِيتَه تبارينا على الهجن ساعه   حتى تعذر وْجهينا لو غَدنْ سُودْ
بالليل نسري تقل راعي زراعه   والصبح تلقحنا السمايم على القُودْ

وفي (العاتي):

نبي نسيِّر لعْقبِ ذيَاب   مالي غَرَضْ بسّ أبي (العاتي)
يا عيون شيهانة المرقاب   بالدوسري حول إبانات

و في (**صيته**) :

تقـول (صـيته) واعيـوني سـهيره أنـا عيـوني عـن كـرى النـوم شِرادْ
قلبـي كـما بـير تزايـد حفـيره ذولي مـصادير وذوليـك ورّاد
ياما حـلى شـوف العشير لعشيره لي منـه ماجـا بـين الاثنـين ميعـاد

وفي (**سويره**) :

مـا فـيهم رجـال طيـب إلا العتـوي رَجْـل (سـويره)
شـطر بذراعـه وكِراعـه عنـد اللقمـة، وعنـد النـيرة

وفي (**ساره**) و(**هيا**) :

واحظـيَّ الـلي بِطـل كـاره مـن عقـب مـا هـو بْعِليّـه
من بنت حامد ليا (ساره) الكـل مـنهن نياريـه
(ساره) مـن البـيض مكـاره و(هيـا) رفـيلا وشرّيـه

وهذه القصيدة فيها ذكر (**رقيّه**) :

يـا الله طلبتـك حـين قربـة وفـاتي تـأمر بْهُـونٍ مـا تكـود الـشكِيةْ
يـا ربي مـا أبي غـير وليـة بنـاتي حيـث أن ولْيـتَهن بْحـالي حَفيّـه
راحَـنْ و جـابن الـنّعش مِعِجْـلاتِ كـل الـثلاث ورابعـتهن (رقَيّـه)
نِزاهـةٍ ومْياهِـةٍ مِـصْخّناتِ يْـرَبِنْ الـسِدْر وُيـذَرَّنْ عَليّـهْ

وفي (**نوره**):

مَرْحبَـــاً يـــا راكـــب شَـــقْرَا والعــــصا عُـــود بـــاكوره
ســـندوني عـــلى العمـــد وأحـــذفوني عـــلى (نـــوره)
ريقهــــا ســـكر بــــدهان والثنايـــا حـــب مـــوره

وفي (**مي**):

لا عيشة طابَتْ، ولا مشربي طاب تحت الدجى نومي شذايا ذباذيب
غيلان ما صابه على(مي) ما صاب قلبٍ بسهم أسباب صرف النواحيب

وفي (**وضحى**) و(**عليا**) :

مِـنْ خلقـة الـدنيا وَبنْيَـة عَمُـودَه والبيض في كيد الهوى كيدهن كيد
نِمرٍ على (وضحى) قصيده شهوده ومِـنْ قبلنا عينت (عليا) وابازيد
ولـد الخفـاجي راح وأمـه تـذوده خَـذنَّ قلبـه بـالمنى والتواعيـد

وفي (**وضحى**) أيضاً:

يذكرنمر(وضحى)واناجبت ماجاب ولاظن يجيب عقاب مع نمر ما اجيب
يا تل قلبي تل مجذوب الأسباب إلى أُنفصل بين الدلي والجواذيب

وقال آخر في (**منيره**):

شيل العبس ما هو علينا بنقصان نطلـب حـراوي رزقنـا كـل ديـره

يوم أنت رزقك لاجي بين جدران عيشٍ مسوّي لك تجيبه (منيره)

وقال غيره في (**مويضى**) :

الشيخ بالخوه سبوره تُويق مالت سبوره من طْوال العراقيب

قالوا: على البل، قال:دونه فريق قال: الشّوَايا ما يفكون من ذيب

لحقوا أهلها فوق جزل السيب وتبَاشَرَنٍ بالفك حرش العراقيب

صاحت (مويضي) صيحةٍ في نحيب تقول: وين مقدي الفطر الشيب

وفي (**مطيره**) هذا الشعر قيل:

أطلب عسى الجنة منازل (مطيره) حيث أن به طبع على البيض ما صار

ما معجبن زينه ولو هي نظيره قصدي تتوسني إلى جان خِطار

وقال آخر وذكر اسم (**عفرا**) في شعره :

ملفاك أخو (عفرا) بريك فقل له حِنَّا على ما قال فينا وزايد

وحِنَّا زمام الحرب مبطي وتوَّنا ونصبر ولو كثرت علينا الفقايد

واسم (**نَوْضى**) :

يا راكب من فوق مثل السبرتات حمرا هميم من بكارٍ معفَّات

تلقى الكواعب من بنَات العمارات يبكن أخو(نوضى) على رأس ماطال

ياالبيض كُبَنَ الحلى والعشارق وابكن أخو(نوضى) مروى المطارق

إلى ركب من فوق ملس المعارق لحق الوسيق (نوضي) مروى المطارق

وقال بعضهم في (جَوزا) :

يا ركب يا مترحلين دوارب كما السفن أو جول النعام الهوارب

سيروا وتلفون الضحى ريف من زها إلى شلفحت غبر الليالي المساغب

ولا هوب مجهول زقم مروى القنا العيط أخو(جوزا) عطيت الضرايب

وردوا سلامي له عدد مزهر الحيا غب الحقوق بناشيات السَحايب

وقال أحدهم وذكر في شعره (نوير):

ياليتني مع (نوير) دايم الدّوم أنا وسمح القيل دايم ولا يف

أنا عتيبي وهي من ربع الاسلوم شجاع يا مسندي وش أنت شايف

وفي (سهيّه):

من روحة الطراش ما شبت النار ليتك عوار وعسّرت بك (سهيّه)

وفي (منيرة):

إن مت مروا بي فرايد مجبره تنحروا في دار وضّاح الانياب

ثم اقبروني في منازل (منيره) شرقٍ عن البركه وغربٍ عن الباب

أسماء النخيل الواردة في الأشعار

شعر فيه ذكر السّكريه و (أم الخشب):

يا غرس ما ترضى عليك بهمالك   لمس الخشم تراه به تدمع العين
(السكريه) قالت إني حلالك   أنت الذي ساعٍ لنا بأول الحين
و(أم الخشب) قالت لي: الخير فالك   الله يصلحنا ولا تأخذ الدِّيْنْ

(الحلوة) و(الخضريه) :

مِنْ ذاق مي الربيعية   ما عاد يسلى بليّاها
لعاد (حلوه) و(خضريه)   وقريبةٍ باردِ مساها

(الشقر) و(المكتومي) :

صاحبي من ورا السمر   وأنا ورا عرق بلعوم
ريقه حلى مِنْ طعم تمر   ما بين (شِقْرٍ) و (مكتومي)

(للصفرى) و(الذاويه) و(السِلَج) و(المسكاني) والبَرني :

نوايعِ سبحان ربي مسويّه   مختلفِ اجناسه عددها ثماني
حلا ومكتومي و(صفري) و(ذاويه)   و(سلّج)و(مسكاني)وشقرا(وبراني)
يا وسع صدري يوم أنا قاعد فيه   عندي عْيَالي وأمهم بالمكان

حلفــت يــاغرسٍ لنــا مــا نْخليــه   أثــر الوحــادة تخلــف المودمــاني

وفي (الشِقِر) أيضاً:

يــا مــن لقلــبٍ يلتــوى ليّــة الــداب   خص إلى شافٍ الجفا عقب ترحيب

من شوفته (للشقر) زينات الاهداب   صُفْرٍ قلوبه قلت: فارقكن الطيب

من عقب ما هو طلعها يهدب هداب   لي عــدّ لــه بيطــار حــبرٍ بتركيــب

وإن شفت نجمين مع الصبح غياب   طلعــة ســهيل يــسّببن المراطيــب

مقــضبنا ســتٍ مــن الهجــن سـيّاب   بـيض الكـلى مـن كربنـا للمحاقيـب

وفي (السِلَج) وحده :

يا (سَلَجٍ) بجلاجل   يـا بـرد مـا القاعيـه

وفي(المقفرية):

والله إنــه خــارفٍ قلبــي عــشيري   مثـل مـا تخـرف عـذوق (المقفزيـه)

يــا عقــاب الخيــل بعــده مــا تغــير   مــاش يــوم مثــل يــوم العرفجيــة

شــوف عينــي يــوم ينقــاد النــشير   يــوم جـل الخيـل مـن فـوق العبيـه

قصص وحكايات

ما يشبع الخلق إلّا الله

(الحوت وسليمان)

فكر سليمان بن داود عليه السلام في سعة ملكه، وما يحويه ذلك الملك من مواشٍ وحبوب وأطمعه بعضها مخزون من وقت طويل بسبب كثرة الطعام والخير، وبعضها حديث التخزين فأعجبه ملكه، وكثرة خزائنه، وأعجبته نفسه، وحدثته بأنه يستطيع أن يطعم جميع مخلوقات الله لفترة طويلة فسأل ربه تعالى ذلك فأوحى إليه: إنك لن تستطيع ذلك ولن يستطيع أن يطعم مخلوقات الله إلا الله تعالى.

ولكن سليمان طلب أخيراً بأن يتحمل إطعام جميع المخلوقات وجبة غذاء واحدة يبدأ بمخلوقات البحر يغديها يوماً ثم بمخلوقات البر يغديها يوماً آخر.

وفي اليوم المحدد لغداء مخلوقات البحر كان سليمان عليه السلام قد جمع كل ما يستطيع جمعه من أصناف الطعام من الحيوانات المذبوحة والمطبوخة والحبوب الكثيرة المتنوعة، والفواكه التي لم تجتمع عند أحد غيره من أهل عصره حتى كان سماط طعامه لا يدركه البصر لطوله.

ولما حان وقت الغداء خرجت من البحر حوت عظيمة وقالت: يا نبي الله أين غدائي؟

فقال لها: كلي من هذا السماط، فأكلت وأكلت حتى أتت على جميع ما في السماط، وتمددت في الشمس على شاطئ البحر.

ثم خرجت من البحر حوت أكبر منها ، وقالت:

يا سليمان أين غدائي؛

فأشار سليمان إلى الحوت الأولى وقال:

هذه أكلت ما جمعته من الطعام وأعددته لمخلوقات البحر، فالتفتت إليها ثم بلعتها كلها.

ولكن لم تشبع من ذلك فقالت: يا نبي الله إنني أحس اليوم بعدم الشبع من الطعام وإني سوف أحاكمك عند الله في كونك تسببت في عدم أكلي ما يكفي من الغداء في هذا اليوم.

ثم انصرفت من حيث أتت إلى البحر.

فتعجب سليمان من ذلك، وتاب إلى الله تعالى من الإعجاب بملكه وبما تحويه خزائنه وقال: **ما يشبع خلق الله ، إلّا الله ..!** .

أمثال في الجن والسِّعْلو

أمثــال

جني، مغني.

جني بدوي.

الجني وابن شمس.

جني ريحاني.

جنيٍ شاف ذيب.

جاك السعيلو ليلو بذنبه عود.

جنٍ، على هجن.

بسم الله على من راعك، وادخل الجني بكراعك.

حكاية

حديدون والسِعْلُوة

كانت امرأة قد أصبحت « سعلوة » وهي السعلاة عند العامة التي يقولون إنها تأكل الناس قد استطاعت أن تتغلب على كل الذين عاكسوها ما عدا (حديدون).

و قصته أن رجلاً يقول بعضهم إنه أمير وبعضهم يقولون إنه ثري كان له ثلاثة من الأولاد الذكور فلما حضرته الوفاة نادى أكبرهم وقال له إنني أريد أن ابني لك بيتاً قبل أن أموت فماذا تريد أن ابنيه به؟.

فأجاب : أريد أن تبنيه لي من رماد فبناه له بالفعل كذلك ثم استدعى ابنه الأوسط فقال له مثل ما قال للكبير.

فأجاب: أنني أريد أن يكون بيتي من السِّفير، والسفير عند العامة، هو قشور البر عندما يهرس فهو أخف القش فبناه والده كذلك ثم استدعى أصغرهم فسأله كما سأل أخويه، فأجابه أريد أن يكون بيتي من الحديد.

فضحك منه أخواه وقالا: إن الحديد شديد الحر شديد البرد، ثم أن إصلاحه إذا فسد صعب وليس مثل الرماد والقش.

ولكنه أصر على ذلك فبنى له والده بيتاً من الحديد فسماه أخواه وأهل بيته (حديدون) نسبة إلى الحديد.

وسكن كل منهم في بيته يتردد عليه في حياة والده إلى إن مات والدهم فاستقل كل واحد منهم في بيته.

وقد صادف أن (السعلوة) المذكورة، ظهرت في زمنهم فأول ما جاءت إلى بيت الأكبر فطرقت عليه الباب فلما أطل من النافذة، ورأى أنها (السعلوة) عرف أنها ستأكله فامتنع عن فتح الباب.

فقالت له: (افتح الباب وإلا طقعت عليه) أي : ظرطت فأجابها قائلاً:

(لن افتح الباب ، اطقعي، ثم اطقعي يا ها العجوز، الف طقعي) فضرطت عليه ضرطة هدمت بيته الرمادي، فأمسكت به، وذهبت به إلى بيتها، وحبسته، ثم ذبحته وأكلته هي وابنتها التي لم يكن في البيت معها غيرها.

وبعد فترة جاءت إلى أخيه أي الأوسط، فقالت له مثل ما قالته للأكبر (افتح الباب وإلا طقعت عليه).

فأجابها: اطقعي، ثم اطقعي، يا ها العجوز، الف طقعي.

فضرطت عليه فانهدم بيته الذي هو من قشور القمح الخفيفة فقبضت عليه وأودعته في بيتها حتى احتاجت إلى أكله فأكلته.

وبعد حين جاءت إلى بيت الأصغر وهو حديدون فقالت له مثل ما قالت لأخويه فقال لها:

اطقعي ثم اطقعي، يا ها العجوز، الف طقعي !

فضرطت ثم ضرطت حتى نفد ما عندها من ضراط ولم يتأثر بيت حديدون من ذلك لأنه من الحديد.

وقد زاد من ضيق السعلاة أن (حديدون) كان يضحك منها ويسخر من فعلها.

فانصرفت عنه ذليلة آيسة، وعادت إلى بنتها التي كانت تنتظر أن تحضر لها لحماً آدمياً.

فسألتها الابنة: ما الأمر؟

فأجابتها: لقد عجزت عن (حديدون) إن بيته من الحديد وقد امتنع عن فتحه.

فباتا الليلة يعملان الحيلة فيما يستطيعان أن يفعلاه من أجل السيطرة عليه حتى اهتديتا إلى الحيلة المطلوبة ألا وهي حيلة استخدام المرأة.

إذ عمدت السعلوة إلى ابنتها فألبستها لباساً جميلاً وزينتها بما أمكنها من الزينة ثم أرسلتها إلى بيت (حديدون) فطرقت عليه الباب فأجابها قائلاً:

من الطارق؟

فقالت: امرأة غريبة محتاجة لماء تشربه، وكان صوتها رخيما فأطلّ من النافذة فرآها شابة متجملة فأحضر لها الماء ثم جلسا يتحدثان.

و كان الوقت صيفاً، فطلبت منه أن يسمح لها بأن تستظل في بيته عن الشمس فسمح لها بذلك.

فلما دخلت واطمأن بها المكان وقد ازداد شغفه بها طلبت منه أن يحضر لها شيئاً مما يؤكل من السوق، فذهب لأحضار المطلوب وتركها في البيت وحدها فأغلقت الباب دونه وكانت أمها مختبئة خلف الباب وهكذا قبضت عليه (السعلوة) واخذته إلى بيتها ووضعته في قفة من الخوص معلقة بين

السماء والأرض بحيث لا يستطيع الهروب منها ولو نزل إلى الأرض لتكسرت عظامه.

وكانت تنتظر أن تحتاج إلى لحمه لتطبخه ولما عادت إلى البيت دون صيد قالت لابنتها:

سوف أخرج من الدار وأغيب يوماً كاملاً فأنت لابد من أن تذبحي (حديدون) وتطبيخه حتى إذا عدت إليه وجدته قد نضج.

وخرجت ولما غادرت الدار أخذ حديدون يغني وهو في القفة غناء خافتاً فرفع صوته بالغناء فأعجب الفتاة وقالت له :

أريد أن ترفع صوتك أكثر حتى استطيع أن اسمعه فقال:إنني لا أستطيع إلّا إذا أخرجت رأسي من القفة فصعدت إليه وأخرجت رأسه.

فرفع صوته بالغناء وكان صوته جميلاً فقالت له: عجل غنَّ قبل أن يحين موعد مجئ أمي.

فقال لها : إنني لا استطيع أن أغني أكثر إلا إذا أخرجت يديّ من القفة.

فأخرجت يديه فغنى بصوتٍ أرفع وأجمل.

ثم قال لها: إذا سمحت لي بأن أرقص رأيت كيف يكون صوتي جميلاً ورقصي جميلاً.

فأنزلته من القفة فجعل يرقص حتى دنا من فأس موضوع في البيت قد اعتادت هي وأمها أن تقطع به أوصال الناس فانتزعه بسرعة وفلق به رأس البنت،ثم أسرع ونصب القدر فوق النار وقطعها أوصالاً ثم أوقد النار تحتها.

وخرج مسرعاً إلى بيته.

ولما عادت العجوز وجدت اللحم قد نضج فظنت أنه لحم (حديدون) وإن أبنتها خارجة من البيت لبعض أمرها.

فأنزلت القدر من فوق النار، ثم أخذت تأكل وخرجت تبحث عن ابنتها وكان معها عظم عليه بعض اللحم فمرت ببيت (حديدون) فوقفت عنده وقالت وهي تأكل من ذلك العظم.

(يازين طعم لحم راعيك يا بيت).

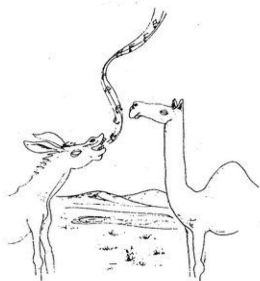
فأجابها (حديدون) من داخل البيت: قولي يا زين طعم لحم بنتي! .

وصُعقت عندما سمعت صوته وعرفته، وأخذت تبحث عن ابنتها حتى تيقنت بالفعل أنها هي التي ماتت وأكلت من لحمها.

فعادت إلى بيت (حديدون) الحديدي وأخذت تضرط و تضرط حتى نفد ما استطاعته من الضراط ثم أخذت تضرب رأسها بالباب الحديدي حتى تهشم رأسها فماتت.

وأراح حديدون الناس من شرِّها.

حكاية البعير و الحمار



الجمل والحمار:

كان الجمل والحمار عند فلاح من الفلاحين كان يجيع بطون بهائمه ويضرب ظهورها ويحملها من العمل ما لا تطيق؛ فكانت تعاني من ذلك عناء شديداً.

إذ ذلك الفلاح كان هذا دأبه مع كل الحيوانات التي تكون عنده فهو قاس القلب، ومع ذلك بخيل بالعلف وأحياناً لا يكون عنده علف لحيواناته ولو أراد أن يطعمها لما استطاع.

ولذلك كانت في ناحية من مزرعته المنعزلة مساحة نائية مملوءة بعظام بيضاء متناثرة هي عظام طائفة من الحيوانات المسكينة التي كانت عنده قد صبرت على حكمه وانتظرت في مكانها من مزارعه حتى أدركها الضعف والأعياء فعجزت عن الحركة فتركها حتى ماتت وبخاصة من الحمير التي لا تصلح لأن تذبح فتؤكل.

أما الإبل فإنها أيضاً قد شاركت في هذا العرض (العظامي) الواضح لأن بعضها يكون من الهزال والضعف بحيث لا يجد فيه الفلاح ما يحمله على ذبحه فإنه لا يجد ما يحمله على تكسير عظامه وأخذها لخلوها من الطعم والدسم.

ولذلك كانت الحيوانات التي عنده إذا جَنَّ عليها الليل أخذت تتشاكى وتتباكى، و كان يشاركها في ذلك طيوره التي لا تستطيع أن تطير وهي

الدجاج و الأوز التي إذا ما أرادت أن تهجره لا تستطيع لأن لها أعداء أقوياء أشد خطراً عليها وهي منها أشد خوفاً مثل الثعالب والذئاب فهي تبقى مرغمة.كما أن الأغنام من الماعز والضأن تشتكي هي أيضاً إلى زملائها من المواشي و(الأدباش) الموجودة عنده، غير أنها مثل الدجاج والأوز لا تستطيع أن تفارق مكانها وحدها لئلا تكون فريسة سهلة لأعدائها التقليديين من السباع.

ولذلك كانت الغنم والطيور تقول وتردد ما تقول في أكثر المناسبات: ياليتنا نستطيع أن ندافع عن أنفسنا حتى نهرب من هذا السجن الكبير وننجو من هذا العذاب الأليم.

وذات ليلة حالكة الظلام كانت الحظيرة مقفرة إلا من الجمل والحمار، وكان الجمل يجترآلامه إذ كان في ظهره دَبَرَ وقروح كثيرة وكان من أشد ما يؤلمه أن الفلاح كان يتعمد أن يضربه على هذه القروح حتى يحمله على أن يسير بسرعة وأن يحمل أضعاف ما أعتاد غيره من الجمال أن يحمله.

كان الحمار وهو يدني رأسه من رأس الجمل ويحاول أن يهمس في أذنه بشيء إلا أن محاولته تلك قد باءت بالفشل إذء أصبح همسه نهيقاً آذى الجمل فابتعد عنه مسرعا ساباً إيَّاه قائلاً له:

لماذا تقترب منى، وتزعجني بصوتك الذي هو أنكر الأصوات؟.

وهل ظننت أن فحيح صدرك الخشن سيذكرني بأنفاس حبيبتي تلك الناقة الاملود التي فرق هذا الفلاح الظالم بيني وبينها فباعها وتركني، وحتى صار

أكثر ما يؤلمني أن أتصورها (باركة) أمام جَمل غيري من الجمال الخالية من الشغل وهما يتطارحان الغرام ؟؟!

فأجاب الحمار بعد أن هدأ نهيقه وهو يبتسم وبدأ أن تقريع الجمل وتوبيخه لم يؤثر فيه لأنه (حمار) فقال:

يا صديقي الجمل: إن المكان خالي إلا مني ومنك، وإنه طرأت على خاطري فكرة – فقاطعه الجمل بحدة قائلاً: على خاطري فكرة؟ ومتى كان لخاطرك الغبي أن يجد فكرة حتى غير نافعة؟

أما الفكرة النافعة فإنها لن تجد سبيلاً إليه.

فازدادت ابتسامة الحمار وقال: لقد عرفتني على حقيقتي أيها الصديق.

إن الواقع أن الفكرة ليست من عندي، فنحن – معشر الحمير – كما قلت عنا لم نخلق للأفكار والابتكار، غير أننا نعلم من أنفسنا ميزة لا يعرفها منا غيرنا.

وهنا تململ الجمل في مبركه، وقال :ميزة أيه ميزة؟ ثم قال: آه ، هذا صحيح إنها ميزة الصبر على الإهانة، وحمل الأثقال دون الشكوى.

إلّا أنه لم يكد يصل إلى هذه الكلمة حتى غير رأيه وقال: ولكنك تقول: إنها لا يعرف بها فيكم غيركم معشر الحمير، وحمل الأثقال، والصبر على الإهمال أمر يعرفه عنكم الجميع.

فما هي تلك الميزة؟.هيا، عجل قلها لي إن حب الاستطلاع إلى معرفتها قد أطار عن عيني النوم الذي أؤمل في الحصول عليه قبل أن يستيقظ ذلك الفلاح الشقى فيشقينا بأعماله التي لا ترحم.

فقال الحمار: إن تلك الميزة هي أننا – معشر الحمير – إذاشبعنا من البرسيم، وروينا من الماء، وسلمت أفكارنا من العواطف التي يستحيا منها كأن يكون الواحد منا قد انتهى لتوه من ثمرة غرام اثيم، لا سيما إذا كان الفصل ربيعاً وقد تنفس النسيم. فاننا في تلك الساعة تكون أذهاننا صافية، ونحفظ ما نسمع من كلام وإن كان ذلك الحفظ إلى حين.

وأنت أيُّها الصديق (البعراني) القديم، تعلم أننا الآن في فصل الربيع، وقد سمعت قبل يومين أو ثلاثة من أحد الزملاء من الحيوانات قصة جماعة منها تشبه حالتها حالتنا، وقد هداها تفكيرها إلى أن تهرب مما هي فيه من جحيم إلى حيث تجد المرعى الكريم، في الفضاء الفسيح الذي لا يستطيع سلطان ابن آدم أن يصل إليه، بل لا تستطيع عينه أن تقع عليه.

ذلك بأن الأرض، كما قالوا هي واسعة وأنحاؤها شاسعة ونحن لا نريد إلا المرعى والماء وهي موجودة متوفرة بل هي الجنة التي وعدنا به نحن الحمير إنها الثغب والثيلة.

كان الجمل يصغي بانتباه إلى ما كان يقوله زميله في الشفاء وقد استهوته الفكرة رغم كونه لا يثق بأذهان الحمير غير أن الحمار ذكر أنها ليست من بنات أفكاره، وإنما هي من محفوظاته، وكان الجمل بقدر ما استهوته الفكرة

استهواء الاكتشاف أيضاً إذا اكتشف هذه الخصلة في الحمير وهو أمر لم يسمع به من قبل.

لذلك قال للحمار:

اسمع يا زميلي: إن الفكرة رائعة ولكن المشكلة هي في تنفيذها فكيف يمكن أن ننفذها؟ وعلى أي وجه يكون ذلك؟

فأجاب الحمار بعد فترة من الصمت والتفكير.

يا سيدي :إنني لم أسمع بكيفية تنفيذها فما سمعته قلته، أما التفكير فإنه كما علمت وقلت – بعيداً عن أذهان الحمير.

فقال الجمل: إنها لفكرة جديرة بالاهتمام بل هي منسجمة تمام الانسجام مع ما نحن فيه من المقام.

فإيَّاك إيَّاك أن يعرف بها أحد سواك، لأنني سوف أفكر في الطريقة التي ننفذها، وأحذر أن تطلع على سرنا أحداً.

فقاطعه الحمار قائلاً: اطمئن يا سيدي من هذه الناحية لأنه لا أحد من زملائنا الحيوانات – في هذه المزرعة يطمع في أن يجد عند الحمار شيئاً من الأسرار.

و هكذا تحيَّن الجمل الفرصة حتى سنحت في غياب الفلاح لمدة يوم واحد إلى المدينة إذْ سمعه يقول لزوجة له مريضة سوف أغيب يوما واحداً إلى المدينة أحاول أن أجد دواء لمرضك فاعتني بهذه الحيوانات على قدر ما تسمح به حالتك الصحية. و إيَّاك أن يذوق شيء منها طعم الراحة في غيابي لأنها إذا

ذاقت الراحة طمعت في المزيد منها فلا أعود أستطيع أن أحصل منها عل ما كنت أحصل عليه من عمل.

وكان موعد ذهاب الفلاح إلى المدينة فجراً فنبّه الجمل الحمار وهو راقد في نوم (حميري) لا هو بالنوم ولا هو بالصحو فهو في العادة لا ينام فيترك غيره يستريح من السهر ولا هو يصحو فيطرف زملاءه بطرائف السّمر فانزعج الحمار من هذا الاستنفار وظن أن عمله الشاق، يكون في هذا اليوم مبكراً، ولذلك ظنه يوماً منكراً. فنكّس رأسه وكتم أنفاسه إظهاراً كعادته للامتثال، إلا أن الجمل بادره فقال:

لا تخف يا زميل الشقاء، ويا أوحد الأصدقاء، إن هذا اليوم سيكون يوم خلاصنا من العذاب، فهيا إلى الخروج من الباب!.

وهكذا خرجا فور غياب الفلاح إلى جهة غير الجهة التي يقصدها، وكانت زوجته في المزرعة بمفردها، فلم تعلم بهرب الجمل والحمار، إلا في أول النهار، وعندما علمت لم تستطع أن تصنع شيئاً وإنما فكرت فأصابها من الفزع والخوف ما زادها مرضاً على مرضها. إذ فكرت في زوجها بعد أن يعود من ذهابه إلى غرضها فيعلم بهربها أنه لا يكتفي بأن يضربها وإنما سوف يعذبها قبل أن يسلمها ورقة الطلاق، ويكون بعد ذلك الفراق الذي ليس بعده تلاق. وهي مع ذلك مريضة كهله، ليس لديها من فرصة بل إن مرضها لا يمنحها مهلة في أن تستعد للزواج فمثلها ليس لسوقها عند الرجال من رواج.

هذا ما كان من أمرها، وهي قد أستسلمت لقدرها، أما ما كان من الجمل والحمار، فأنهما سارا كل النهار، وعندما حل الظلام استراحا فوق إحدى الآكام، وقد فعل الجمل ذلك من باب الاحتياط خوفاً من احتمال أن يعود الفلاح قبل الموعد المحدد لعودته، فيلحقهما فيعاقبهما أشد العقاب، أما الحمار فإنه كان بين عاطفتين حماريتين تتجاذبان ذهنه الكليل أحداهما الفرح بالخلاص، والثانية الخوف من الاقتناص فقد تواردت إلى ذهنه ذكريات أجداده الحمير وخوفهم من فتك الذئاب غير أن الجمل فطن إلى ذلك فطمأنه على أنه مادام بجانبه سيكون في مأمن من ذلك المحذور لأنه سوف يقوم بإداء واجب الصحبة التي أقلها الدفاع عن الرفيق في ساعة الضيق.

وهكذا كان كل واحد منهما قد استراح، حتى قرب الصباح.

فقال الجمل: قم يا رفيقي الحمار، فأن العمل في الصباح، من علامات النجاح.

فسارا أول النهار حتى لمحا على البعد جماعة من الناس يسوقون أباعرهم وغنماً معهم وحماراً عليه بعض المتاع فارتاع البعير لذلك، وخاف عاقبته، أما الحمار فإنه فرح بذلك فرحاً عظيماً وكاد ينهق إذ عرف بعينه الثاقبة في معرفة أناثي الحمير أن الذي كان معهم حمارة إلا أن الجمل ردعه عن ذلك ومنعه من الظهور أمامهم فاختبأ في وادٍ منخفض حتى ذهبوا، ثم واصلا السير إلى قرب الليل، فاستراحا قليلاً على عشب وجداه.

وهكذا بعد أن سارا ثلاثة أيام وجدا روضة منخفضة بين عدد من الروابي التي أحاطت بها حتى أصبح من يكون فيها لايراه إلّا من بحث عنه.

ووجدا في هذه الروضة غديراً لا يذكران أنهما رأيا له نظيراً، وكانت الروضة قد أعشبت حتى أطربت بل إن أعشابها قد أزهرت، وأشجارها قد نوَّرتْ.

فأسرعا إلى الراحة والرعي ثم الرعي والراحة وهكذا قد شبعا ورويا ثم ربضا، فقال الحمار للجمل: إن هذا المكان مفضل لولا أنه ليس فيه مراغة أتقلب فيها إذْ كل ما فيه إنما هو أخصر بليل ، أو ظل ظليل، فلبى الجمل رغبته وذهب يبحث له عن طلبته حتى وجد مكاناً مطمئناً في موضع مرتفع نوعاً لذلك لا يمكث الماء فيه، وقد يبس حتى أصبح صالحاً للمراغة.

فأخذ الحمار في آخر كل نهار يذهب إلى هذه المراغة ويغمس في غبارها أرساغه، بل هو يتمرغ ويتقلب جزءاً من النهار، حتى يشبع أنفه من الغبار إذا لا عمل له إلا الأكل والشرب.

أما الجمل فإنه يأكل مثله ولكنه يذهب في بعض الأحيان إلى (برج المراقبة) وهو تل غير بعيد من الروضة يخشى أن يفاجئهم أحد في جنتهم تلك فيخرجهم منها كما أخرج أبو البشر من الجنة.

وكان الحمار إذا عاد الجمل من مراقبته وعرف أنه لا يوجد بقربهم من بني آدم أحد نهق وزعق، ثم ركض وتمرغ وفي ذات يوم عاد الجمل من(برج المراقبة) وقد علاه الخوف والوجل، فقال للحمار على عجل: ابق في مكانك ولا تخرج منه إلى أعلى لأنني رأيت هناك غير بعيد منا قوماً من بني آدم معسكرين، وهو بلا شك من المسافرين الذين سيقضون سحابة هذا النهار، ثم يخلون لنا الديار، وإيَّاك أن يبين لك أثر أو خبر.

فامتثل لأمره ولبثا قابعين في مكان عميق من الروضة ينتظران رحيل القوم.

إلّا أن الحمار أخذ يتململ في مكانه يجمع بين أذنيه ويفرقهما ويتحفز في موضعه ثم يقوم فجأة ويقعد.

فسأله الجمل: ما بك أيُّها الحمار؟

فأجاب: لقد حان موعد نهيقي يا صديقي، فزجره الجمل، وقال: إيَّاك من ذلك لأن صوتك سيوردنا المهالك إذْ سيسمع به القوم، فيقبضون علينا، ويعتبروننا غنيمة من الغنائم ثم لا نلبث أن نعود إلى صاحبنا أو غيره، فيسومنا العذاب أشد سوم.

فسكت الحمار إلا أنه وهو ينظر إلى الأزهار، وإلى الغدير الذي يشبه نهراً من الأنهار: إن هذه المناظر تطربني يا صديقي الجمل، ومن عادتنا أننا نحن الحمير إذا طربنا أن نغني وغناؤنا هو هذا الصوت الذي تسمونه النهيق.

ثم انطلق في نهيق ترددت به أصداء الوادي العميق، وتجاوز أنحاء الروضة حتى سمعه أولئك الفريق، فأسرعوا إلى مصدر الصوت، وكان أن أخذوا الجمل والحمار، وساقوهما في طريق جبلي كل ذلك النهار، فعجزت قدما الحمار عن مواصلة التسيار فعهد القوم إلى حمله فوق ظهر صاحبه البعير يريدون بذلك أن يحصلوا من ثمنه على قدر من الدنانير.

و بينما كانوا يصعدون على متن جبل، وكان الجمل لا يستطيع السير إلا على مهل لصعوبة الطريقّ عليه، ولأن الحمار فوقه قد آلم حمله كتفيه، فبدا له

أن يسأل الحمار عن السبب الذي جعله ينهق حتى أوردهما البوار، فأجاب الحمار: إن ذلك كان من الطرب الشديد يا صديقي العتيد.

وكان الجمل قد حاذى شفير هاوية عميقة فأخذ يتمايل، وينفض ظهره بقوة فسأله الحمار وهو لا يكاد يقوى على الثبات فوق ظهره: ما هذا يا صديقي الجمل؟.

فأجاب الجمل وهو يزيد انتفاضاً: إن هذا هو الرقص من الطرب على صوتك الجميل أمس ثم أخذ يرقص ويزيد في رقصه حتى وقع الحمار من ظهره في تلك الهاوية، وكانت عليه القاضية لأنه لم ينظر في العواقب، وقد غلبت الشهوة عنده على الحكمة والتدبير فكان جزاؤه هذا المصير.

حكايات القط والفأر

القناعة والبعد عن الخطر:

كان أحد الفئران يعيش معيشة شظف وعناء، بسبب نقص المواد الغذائية في المكان الذي يعيش فيه وهو مقبرة قديمة خالية إلا من الأشجار والأحجار وحتى الأشجار التي فيها أغلبها من الأشجار الصحراوية التي لا يجد فيها الفأر شيئاً يأكله وإنما كان يذهب في بعض الأحيان خارج المقبرة أو في نواحيها فيجد شجرة من أشجار الشفلح وقد يجد فيها شيئاً من ثمرها الذي يأكل منه إذا لم يسبقه إليه بنو آدم عند نضجه فيأكلوه قبله.

وقرب المقبرة كان موقف للدواب ومناخ لبعض الأعراب قد ينبخون فيه دوابهم ويخرجون طعامهم فيأكلونه أو يفرغونه من بعض الأواني في بعض لا سيما ما يشترونه من أهل الحضر وقد يسقط منه شيء فيأتي هذا الفأر في الليل أو متلصصاً حذراً في النهار إلى هذا المكان فلا يعدم فيه شيئاً مرمياً أو شيئاً منسيا أو طعاماً ساقطاً فيأكل منه ما يقيم ظهره، ويكفيه طعاماً ليوم أو يومين وقد يجد في بعض الأحيان ما يكون أكثر من ذلك فيحمله إلى جحره في المقبرة يخزنه ليقتات به عند الحاجة وقد تحمله الشهامة ومحبة الظهور عند أبناء جنسه (الفئراني) من جيرانه فيمنحهم من ذلك الشيء النادر إذا كان فيه ما يزيد على حاجته لعدة أيام.

لا سيما وهو لا يصل إلى بيته إلا بعد أن يتخطى عدة عقبات.

وبعد أن يقف عدة وقفات، وربما نكص عن السير، وعاد إلى ذلك الجحير، إذا أحس أن آدمياً رآه، أو أن طيراً جارحاً يحوم فوقه أو أن حية (تتسلل) من جحرها، وتخطر في سيرها. إذ هو يعلم أن جميع أولئك أعداء له منذ القدم مع أنه يساءل نفسه في بعض الأحيان عن مصدر تلك العدواة فهو قد سأل نفسه سؤالاً لم يجد عليه جواباً وهو قوله:

لماذا يبادر ابن آدم فيقتلني لمجرد أن يراني مع أنه يدعي العدل ويقول: إن القصاص هو أساس العدل، وأن الرحمة فوق ذلك كنت لا أؤمل منه الرحمة فلماذا لا يعاملني بالقصاص؟.

أنا لم أقتل ابن آدم، ولم أسع لقتله في أي وقت من الأوقات، ولو سعيت إلى ذلك لما استطعت إليه سبيلاً، فلماذا يقتلني؟

العجزي عن قتله؟

إن هذا المنطق أغرب وأعجب إذا كان ذلك هو السبب، وإذا كان ابن آدم يحكم بالعدل فلماذا لا يفعل بي مثل ما أفعله به؟

إن كل ما أفعل به هو أنني أتلصص إلى طعامه أو شرابه فأنال منه ما احتاجّ!! فلماذا لا يفعل بي كذلك فينال من طعامي وشرابي ما يحتاج إليه ولو كنت إلى طعامه أحوج منه إلى طعامي!

أما الطيور الجارحة فإنه لم يفهم عداوتها للفئران مطلقاً فهي لا تنالها بأية أذى ومع ذلك تلتقطها من الأرض تنشب فيها مخالبها ثم تمزقها إرباً إرباً. وأما الحية فان أمرها عظيم، وظلمها أظلم، لا تقتصر على أكل الفأر وإنما تأتي

إلى جحره الذي أفنى زهرة شبابه، وبذل قصارى جهده في حفره فتحل فيه وتبتلع ساكنيه.

ومع كل هذه الأشياء التي في مسكن هذا الفأر فإن (المربى قتال) كما يقال فهو به فخور، بل هو حريص على التغني بأمجاد هذا الوطن، ومزاياه التي يقول: إنها لا تحصى ومن أهمها عنده أن الأحياء من بني آدم لا يستقرون فيما حوله ولا يأتون إليه إلا لماما وإذا جاءوا لا يأتون بكثرة إلا إذا كان لديهم شخص كبير يريدون دفنه فيأتون بكثرة ولكنهم يتفرقون بسرعة وهو أمر لايزعج الفئران لأنها تختبئ مدة وجودهم الذي لا يطول.

أما بنو آدم الذين يأتون إليه أو على الأصح يؤتي بهم إليه ويقيمون فيه فأنهم لا يؤذون الفئران ولا غيرها من سكنة المقبرة لأنهم أموات لا يستطيعون الأذى.

كان لفأر المقبرة هذا ابن عم يحب صلة الرحم، وعدم القطاع الأثر بين الأقارب، وكان يسكن في البلدة في شطب في جدار غرفة من بيت امرأة عجوز لها أبناء وبنات لا يسكنون معها لأنها سليطة اللسان، شديدة الأذى للبنات والصبيان لذلك لا تصبر على السكنى مع زوجات أبنائها ولا أولادهم.

فصارت تسكن وحدها ولكي يتقوا غضبها، ويكافئوا وحدتها كانوا يغدقون عليها الطعام وكانوا يكثرون لها من الإدام، حتى إنهم في بعض الأحيان كانوا يؤثرونها بذلك على أنفسهم وذلك منهم طلباً لرضاها، واتقاء لأذاها.

فكانت تخزن ذلك كله في غرفتها، وكانت بخيلة أو قل إنها ليست من محبات الخير لأبناء القبيلة، فلم تكن تطعم أحداً، أو تشارك مخلوقاً فيما عندها من الخير ماعدا عجوزا واحدة مثلها في الشر لكنها أعظم منها في النفاق فهي تعرف كيف تسب الآخرين عندها وخصوصاً أولاد بناتها وزوجات أبنائها وأولادهم، وهذا هو الشيء الذي تطرب لسماعه، وتود أن يدوم القول فيه.

ومع ذلك كان الطعام يبقى عندها مدة طويلة بحيث أنها تضطر في بعض الأحيان إلى التخلص منه بأية وسيلة إلّا وسيلة الصدقة على المحتاجين.

وبذلك كان هذا الفأر في رغد من العيش وهناء ما بعده هناء، فقد كان ينعم بما لم يكن ينعم به غيره لأنه أولاً لم تكتشف الفئران الأخرى ما هو فيه، وثانياً لأن الصدع الذي هنا قوي البنية، عظيم الصولة بحيث لا يستطيع فأر آخر أن يزحزحه عن مكانه أو أن يطرده عن ميدانه.

كان هذا الفأر القوي يحب صلة الرحم كما قدمنا لذلك كان ينتهز فرصة المناسبات والأعياد (الفأرية) فيزور فيها أقاربه وبخاصة ابن عمه الساكن في المقبرة، وكانت المناسبات السارة والأعياد (الفأرية) قليلة ومتباعدة وغير منتظمة وإنما هي قد تكون لولادة فأر لأحدى الأسر المرموقة في دنيا الفئران أو لموت هر حديد الأظفار، أو لوفاة رجل ممن يتخصصون في صنع الأفخاخ التي تنصب للفئران في الدار.

وفي إحدى هذه المناسبات سار الفأر البار في أول النهار لأنه يخشى إذا سار في الليل أن يلاقي من الهررة الويل، وإن سار في وضح النهار أن ترمقه إحدى عيون الأطفال الصغار التي تخترق لحدة بصرها الجدار.

أما أبصار الشيوخ والكهول فإنه لا يخشى منها النظر لأنها قد تظن الفأر إذا ما مرق كالحجر العوبة طفل، يجرها بالحبل.

ولم يشأ هذا الفأر الشهم، أن يتعلق بالوهم، فيظن أن ابن عمه لديه وليمة أو أنه سيصادف عنده (عزيمة) ذلك بأنه يعرف أن منزله في مكان قَفْر، ليس بقربه إلا قبر.

لذلك أكل حتى امتلأ كما يفعل من يريد السفر في الخلاء. وكما يفعل من يريد الإغارة من بني آدم على غرة كان هذا الفأر في هذه المرة كما كان يفعل في كل مرة وهو أنه يسير أحياناً، ويكمن إذا لم يجد في السير أماناً حتى وصل إلى ابن عمه (فأر المقبرة) فكان لقاء، وكان عناق كما يكون اللقاء بعد الاشتياق فتساءل الفأران وتبادلا أحاديث الأقارب والجيران، بل لم ينسيا أن يتحدثا أحاديث الرفث والمحبة التي لا تكون إلا بين الأصحاب الذين لا يجعلون من الحبة قبة. ولا يضمرون لأصحابهم المسبة.

وكانا يتماشيان في هذه المملكة الواسعة في دنيا الفئران والأموات من بني الإنسان، فكان فأر المنزل منشرح الخاطر طول النهار وهو يقفز ويركض ويلعب.

وقد صادفا قنقذاً يمشي ما أن رأياه حتى تقوقع في غلافه الشوكي المصفح فطرب فأر المنزل لهذا المنظر، وسأل فأر المقبرة.

لماذا فعل هكذا؟

فأجابه : إنه أولاً صديقنا المسمى (القنفذ).

فقال صاحبه: صديقنا ؟ وكيف كان ذلك ومتى كانت الفئران أصدقاء للحيوانات التي تكبرها في الحجم والجسم؟

فأجاب فأر المقبرة: إنه صديقنا لأنه عدو لعدونا الحية، إنه يأكل الحية أكلا ذريعاً مع أنك تظنه عن ذلك ضعيفاً إذا رأيته والحية كما تعلم هي عدونا اللدود (وعدو عدوك صديقك) كما يقول المثل.

أما كونه قد تقوقع عندما رآنا داخل غلافه الشوكي فاعلم أنه لم يفعل ذلك من أجلنا فهو يفعل ذلك إذا خاف، ومنظرنا لا يجعله يخاف، فلا شك في أن هناك عدواً له من إنسان أو حيوان وأكثر أعدائه تقريباً هم من أعدائنا وما كاد يتم كلامه حتى رأى رجلاً مقبلاً، فأختباءا فرأياه وقف قليلاً فوق قبر، وهو يحرك شفتيه بشيء من الدعاء ثم انصرف مسرعاً.

ولما كان الجو الخلوى النقي الهواء قد طاب لفأر المنزل، و قد أطلق لساقيه ولخاطره العنان، ونسي أن الذهاب إلى بيته في الليل ليس بالإمكان.

فلما أصفر وجه الشمس للمغيب، فعلت كما يفعل المحب الذي فارق الحبيب. تذكر ذلك فهز رأسه نادماً، وكان صاحبه بما به عالماً، فقال له: يا صاحبي إنني لا أحب خلافك ولا أكره إنصافك، ولكنني أقول لك: لا تندم ولا تتألم فالنوم عندي الليلة يكون من إتمام الضيافة، كيف لا، وأنا سوف أتحفك بأخبار الفئران وأحاديث أعدائها وأصدقائها على مدى الأزمان.

فلم يكن في يد فأر المنزل إلا الموافقة، إلا أنه عندما جاء الليل وغطى الكون بإهابه أحسَّ أن الجوع قد عضه بنابه ولكن ليس من الأدب أن يخبر مضيفه بأنه بحاجة إلى وجبة ولو كانت خفيفة.

أما مضيفه فإنه يعلم أن لديه في الغرفة من الطعام ما يكفيه لبضعة أيام، وأنه يعلم أيضاً أن ضيفه يعرف ما هو عليه في هذه المقبرة من قلة الزاد، وكثرة الاضداد.

لذلك باتا وصاحبه يحدثه حديث الأكل والطعام حتى إنه عندما نام، سمعه يحدث نفسه في الأحلام، عن اللحم اليابس والإدام.

وكان فأر المنزل قد قال لفأر المقبرة وهو يذم مكانه هذا، إنك يا صاحبي لو رأيت منزلي في تلك الغرفة من بيت العجوز لعرفت أن الإقامة في منزلك هذا لا تجوز.

و بعد أن تناقشا مناقشة ودية في هذا الأمر قدم فأر المنزل دعوة لقريبه بأن يصحبه في العودة لزيارة منزله فاتفقا على ذلك.

وبعد أن طلع الفجر سارا معاً فوصلا في وقت مناسب وكانت العجوز نائمة نومتها المعتادة بعد صلاة الفجر لذلك لم يزعجها وجودهما، وانتهز الفأران الفرصة فقاما بجولة في أنحاء الغرفة أطلع خلالها فأر المنزل قريبه فأر المقبرة على بعض محتوياته النفيسة، ومن ذلك فتات من الطعام باقٍ في بعض الأواني، وبقايا لبن لم تغطه العجوز وغير ذلك .

فكانت هذه الجولة بالنسبة إلى فأر المقبرة بمثابة الجولة والوليمة بل هي كذلك بالنسبة إليه حيث انتهز الفرصة وملأ بطنه من هذه الخيرات.

ثم ذهبا إلى الجحر في استراحة قصيرة كان فأر المقبرة خلالها يبدي إعجابه بمنزل صاحبه، حتى قال له: يا أخي إنني أرجو ألاّ تخبر بمنزلك هذا أحداً لئلا يصيبك بالعين أو يطردك منه بأية وسيلة، بل اجترأ وقال: إن هذا المنزل هو في الحقيقة جنة الدنيا التي لا يحلم الفأر بمثلها أبداً.

ولم يخرج ما بعد (و) هذه حتى قاطعه قريبه فأر المنزل قائلاً بانفعال.

إن الأمر كما ذكرت غير أن هناك شيئاً يكدر هذه الجنة يا صاحبي بل إنه ليُخيَّل إليَّ أنه أحياناً يحيلها إلى الجحيم.

فقفز صاحبه من مقعده وقال جحيم، نار؟ ماذا تقول؟ فأسرع يقول له:

نعم، نعم يا صاحبي، إن هناك شيئاً يكدر هذه الجنة الأرضية ألا وهو الهر إنه السنور، أو إن شئت قلت (القط) فهذه كلها أسماء لمسمى واحد هو الشقاء والعذاب بالنسبة لنا معشر (شعب الفأر)! .

فذكر صاحبه فأر المقبرة ما كان رواه أهله وشيوخ قومه عن هذا الهر غير أنه هو لم يره لأنه في مكان لا يصل إليه الهر في المقبرة لأن موضعها بارز في الخلاء لا يصلها ولأن الهر لا يجد فيها ما يأكله فسأل صاحبه قائلاً: لقد سمعت عنه أنباء غير طيبة ولكن ألا تمكن الوقاية منه؟

فأجاب: قد تمكن في بعض الأحيان ولكنها لا تمكن في أكثر الأحيان فهو لئيم ، ومثابر على أذيتنا ، وفوق ذلك: إن فيه شيئاً كالمغناطيس يعطل حركتنا

إذا ر أيناه، ويبخر شجاعتنا، بل إنه ليبدد الآراء الصائبة من رؤوسنا.

وبينها هما في هذا الحديث إذْ سمعا صوتاً خافتاً انفعل من أجله فأر المنزل وقال لصاحبه وهو يرتعد: عجل، عجل، إلى السقف، إنه الهر إنه هو، إنه قادم.

ولم ينتظر إجابة صاحبه وإنما قفز بكل سرعة جاذبًا ذيل صاحبه معه قائلاً: إلى السقف، لأننا لا نستطيع النجاة منه إلا إذا استطعنا الوصول إلى السقف قبل أن يدركنا.

ومن حسن حظهما أنهما وصلا السقف قبل أن يصل الهر الذي كان يؤمِّل غير ذلك فوقف يرقبهما بعينيه النافذتين في غيظ لأنه لا يستطيع أن يقفز إلى وسط السقف.

وفي مخبأهما كان فأر المنزل يرتجف ويحث صاحبه على أن يخفى كل شيء من جسمه داخل خشبة السقف فقال له صاحبه بدافع الفضول: إنني أريد أن أرى هذا الهر الذي هولت في شأنه تهويلاً لا يصل إليه الأسد.

فأجاب: لا، لا، لا تنظر إليه لأنه ربما سيعتقد أننا نازلان فيبقى في المنزل إلى مالا نهاية له أو سوف يختبئ لنا من حيث لا نراه ثم ينقض علينا ويأكلنا.

وغلبه فضوله، فأطل برأسه من وراء خشبة السقف فالتقت عيناه بعيني الهر الحادتين فأُرتجف، وأخذ يحاول أن يعود إلى مكانه غير أن الخوف جعله يتسمر ولا يستطيع حراكاً وهو يتوسل إلى ابن عمه الفأر ويقول له:

أرجوك، أرجوك، أمسك بي لئلا أقع على الأرض إنني أحسُّ بأن رجلي ويديَّ تخونني فلا تساعدني على الإمساك بالخشبة.

وقد ساعده صاحبه بالفعل لأن عين «الهر» لم تكن قد وقعت في عينه.

ولما اطمأن إلى انه قد عاد مرة ثانية إلى مخبئه بحيث لا يرى الهر ولا يراه الهر تنفس الصعداء، وظل ساكناً لا يستطيع أن ينبس ببنت شفة.

وعندما ذهب الهر، وتيقنا أنه قد أبعد عن المكان نزلا من السقف، وكان فأر المقبرة لا يزال يواصل السكوت فقال لصاحبه:

ها أنت الآن قد رأيت المنغص الوحيد في هذا المنزل الذي هو جَنّة أرضية فأرية فما رأيك بالسكنى معي فيه؟

فأجاب فأر المقبرة:

لا، لا، (رميثاتي، وشجيراتي، أحب إليَّ من زغر العيينات) أي الرمث والشجر الذي عندي في المقبرة على سؤه أحب إليَّ من أن تقع عيون الهر الزغر أي الصفراء الخضراء في عيني !!! .

من يلبس البس الجرس ؟

عقدت الفئران مؤتمراً طارئاً هاماً هو طارئ لأنه يعقد في غير مناسبة من المناسبات الفأرية التي يجتمع فيها الفأر عادة مثل أعيادها الخاصة أو الاحتفالات التي تعقد بمناسبة زواج أحد وجهاتها أو كبرائها، أو لمناسبة وفاة عدو لدود من أعدائها.

وهو طارئ لأنه يعقد لبحث أمر هام جداً بالنسبة للفأر لأنه يتعلق بتاريخها القديم، ولأنه يمس ما يتصل بأجيالها الصاعدة فضلاً عن حاضرها الذي لا يمكن تجاهله.

ذلك المؤتمر الذي عقده الفأر لمناقشة مكافحة خطر الهر ذلك الحيوان الشرس المسلط كالسيف المصلت على أعناق الفأر من قديم الأدهار، بل إن بعض الفأر قال: إن المسألة أيضاً هي مسألة كرامة كما هي مسألة وجود وبقاء ذلك بأن تسلط الهر على الفأرة مما يضرب به الناس المثل منذ القديم.

وكما كان هذا المؤتمر هامّاً في موضوعه فانه كان أيضاً هامّاً في شكله إذ حضره ممثلون عن فئات الشعب (الفأري) العريق وطوائفه.

و في مستهل الاجتماع تقدم إلى المنصة أحد الخطباء (المصاقع) فشرح الموضوع شرحاً وافياً بلغة مفهومة للجميع لا هي بالقديمة الصعبة ولا هي بالحديثة لا يفهمها من اعتاد على اللغة التقليدية القديمة.

بدأ القوم بالتداول في الأمر فألفوا لجاناً متعددة منها لجنة تعيين حجم الهر على وجه الدقة ومن أعمالها معرفة وزنه كم يزن بالنسبة إلى الفئران وأن تنظر فيما إذا كان ما يعادل وزنه من الفئران يمكن أن يقاومه حتى يكون ذلك مدخلاً إلى الزيادة في العدد طلباً للتغلب عليه، فإذا كان وزنه مثلاً رطلين فكم يحتاج هذا الوزن من عدد الفئران وهل هذا العدد إذا زاد قليلاً كافٍ لمقاومة الهر أو للامتناع منه وهكذا.

ولجنة أخرى مهمتها دراسة الآثار (السايكلوجية) أي النفسية لمنظر الهر على الفأر، وثالثة لبيان مصدر قوة الهر، أهي في أظفاره؟ أم في أنيابه، أو أنها معنوية في قوة روحه المعنوية بالنسبة للفأر وإذا كان هذا الأمر الأخير صحيحاً فما هي الأسباب التي تحد من روحه المعنوية. ؟

ولجنة رابعة هامة وهي اللجنة التاريخية ومهمتها البحث في مصدر تلك العداوة التاريخية بين الهر والفأر تمهيداً لإزالة أسبابها إذا عرفت.

وقد كثرت اللجان إلى حد أن المندوبين الأجانب لحضور هذا المؤتمر صعب عليهم متابعة أعمال اللجان كلها لكثرتها وتشعب أبحاثها.

وكان مقرُّ المؤتمر مقرّاً حصيناً اختاره منهم أفراد أولو حكمة وروية إذ كان في أحد القصور الخربة ذات الجدران الملساء وقد سقط درجها بحيث لا يستطيع الهر الوصول إليه.

وبينما كان الاجتماع منعقداً وكانت المداولات دائرة حامية أحياناً وهادئة أحياناً أخرى. إذا بأحد الهررة يمر من تحت القصر فتهديه غريزته إلى أن الفأر

موجود في الأعلى فيظل يحوم ويحوم متلصصاً ينتظر أن ينزل أحدهما فقرر استعمال السلاح الآخر سلاح التخويف والترهيب فأطلق مواءً أي صراخاً متواصلاً ما أن سمعه الفئران المؤتمرة حتى دبَّ الذعر في قلوبها وعمت الفوضى صفوفها، وترك كل واحد منها موقعه يطلب النجاة في وهمه مع أنه في موضع نجاة.

ودام الأمر كذلك فترة طويلة حتى يئس الهر وانصرف وقد أعقب انصرافه فترة استرد فيها المجتمعون من الشعب (الفأري) أنفاسهم، واحتاجوا إلى فترة أخرى حتى استعادوا هدوءهم.

وفي أثناء ذلك استطاعت لجنة الروح المعنوية عند الهِرّ أن تقدم نتيجة بحثها الذي ينص على أنه بعد الدراسة والتدقيق تبين أن لا وسيلة لدى الفأر لمقاومة الهر وان اللجنة عندما اقتنعت بذل بحثت على ضوءه عن وسيلة أخرى للنجاة من شره فلم تجد إلا وسيلة واحدة هي أن يكون في عنق الهر جرس ينذر الفأر بقدومه حتى يكون لديه الوقت الكافي للهرب منه والنجاة بنفسه. وعندما عقد المؤتمر جلسة عامة لمناقشة مقررات اللجان والموافقة على ما يراه مناسباً منها أو تعديله، كان أول فقرة من مقررات اللجان التي تليت هي توصية لجنة الروح المعنوية عند الهر، وذلك لأن لجنة الصياغة قد أعجبت بتوصياتها فقدمتها على المقررات الأخرى.

وكان رأى الأغلبية من المؤتمرين هو رأى لجنة الصياغة يدل على ذلك أنه عندما تليت التوصية المذكورة دوى مكان المؤتمر بالتقريض، بل إن بعضهم

ساهم بنظم القريض الطويل العريض في مدح هذه التوصية التي تدل على العلم والفهم بل على الذكاء والزكاء!

إلّا أن صوتاً انبعث من أحد الوقوف خلف الصفوف متسائلا، قائلاً: من يلبس الهر الجرس؟ فوجم الجميع، وكأنما أصابهم الخرس!

ألغاز وأحاجٍ

المنفاخ

انشدك عن شيء جنوبه خشب ساج وبطنه من جلود البهايم يجاب
قرم إلى منك نذرته لمحراب قرم إلى ثار الدّخن ما يهَاب

اللحية

انشدك عن شيء طويل ومذروب دب الليالي في يمينك مْشِده
طار الغراب وصار بالوكر غرنوق واعرف ترى الرجال قد وصل حده

الموت

حمامي فوق بيت يأكلن حبّ السبيت
إن عطوني ما بغيت و إن عطوا غيري بكيت

دلة القهوة

بنتنا بيانة سبع الحلق باذانه
والعسكري والسمكري يلعب على سكانه

الجرادة

ذلول من بني بكر وشداده حيلة الفكر
وعيونه في متانيها قليل الربح شاريها

الفَرَس

بنتنا سين سين وتلبح بالبساتين
وجاه معكرش اللحية وسامه ست وستين

البرق والرعد

انشدك يا بو عن علم لفي تو
صياح بلا ذيره ومشاعيل بلا ضو

القالب والرصاص

فكر يا هل الأفكار كيف الجمل يلقح من الناقة
يلقح يجيب حوار والمولد قاضب ساقه

البصل

بنتنا خزة بالبقاع مرتزه
الشوب خجخوجي والمدرعه فزه

ظل الشخص

إن كان أنت رجل حشق وش الذي بك لزق
ما يبله حتى المطر ولا هو بالنار يحترق

المحش

أربعة مع أربعة تقامزوا بالمزرعه
معهم صبي دوبحي يقضب مقضاب الأربعة

المنفاخ:

أنشدكم عن شيء وشيء من شجر، واصفر الجنبين ينافخ بالجخر.

النعال:

أنشدكم عن بكرتين ركابهن واحد ولا يردفن، كل الديش يسمن وهن يضعفن.

الفم والأصابع:

أربع دلنه، وإلى امتلنه، وردن حضرم، وطاح بالقوع الا ظلم.

المرآة:

فيها سحر، فيها نحر، فيها عيون تفتكر.

المخلب:

خريفنا يرعى يرعي، يجينا خشيشته درعى.

الحاده:

جدتي عوجا طويله، من هذا إلى المدينة.

البندق:

جدتي عوجا ساق، وان حَركتَهْ قالت: طاق.

القطن:

إن كان أنت رَجّال عروف، وش اللي ينبت جلده على الصوف؟

شجرة العصفر:

انشدكم عن شيءٍ يشرب برجيلته، ويكشِّر بكشيرته؟

رصاصه البندق:

حزلق، بزلق ، تلحق الخيل تزلق.

العين التي تصيب الإنسان:

حدجه، بدجه، تلحق الخطار بالدرجه.

العجين:

واشي يشرب شرب الخروف، ولا له جلدٍ ولا له صوف.

القمر:

عكَّوز بكَّوز، في كل بلادٍ مركوز.

النجوم:

واجلة جليتها، وأصبحت ما لقيتها.

الدلو:

انشدك عن شيءٍ يرقى شبعان، وهو محّولٍ جوعان.

المحالة ومحورها الحديد:

قديري خشب، ومناصبه حديد، يا أهل التفكير، كيف هذا يصير؟

بيت الشَعَر:

أسود، ليل ؟ ما هو ليل. له جنْحان؟ ما هو طير. له حوافر؟ما هو خيل.

النار:

انشدكم عن شيءٍ إلى قام أصفر، وإلى قعد أحمر؟

الموت:

مشيعة ليف، بادة على التاجر والضعيف.

وهذه حجاوي أخرى:

رمضان:

ثلاثين غرنوق، ما نأكل منهن إلا الغرانيق السود.

المرزام:

ابونا عندنا ولحيته بالسوق.

المغزل:

انشدكم عن شيءٍ يمشي ويتحزم؟

الإبرة والسلك:

ذكر دخل في انثى ومن أين ما راحت يتليها.

الحِنّاء:

أحمر بامك، أخضر بالسوق.

الزل:

طقش، طقش،كما الحنا كما النُّقِش، كما برقٍ من بعيد.

شجرة العصفر:

انشدك عن شيءٍ يصبح خضر، ويمسي حمر

الفهرس